٤و٣

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

العددان الثالث والرابع نيسان وأيار ١٩٨١

المحتويات

مدلع القصة المحلية من خلال سيرة الكاتب ؛ سنة دراسة نقدية للكتاب الثاني من الاناجيل
البخيل بوابل الحقيقة
حكايات الصياد الذي يحلم بالسمك
لغز ممثلة الشاطر حسن
ذروة الموت
رونالد ريغان السينمائي
نقرة خفيفة على دفة البدايات
كتاب طالعة لينين
كلب السيد
اكفاء يوم
زهرة التعب
الشيخ عزيز
ملف الأدب المغربي ٤ -
لقاء مع محمد بنيس
بوميات قلعة المنفى
سلاما وليشربوا البحار
المؤامرة
البعث والتوهج

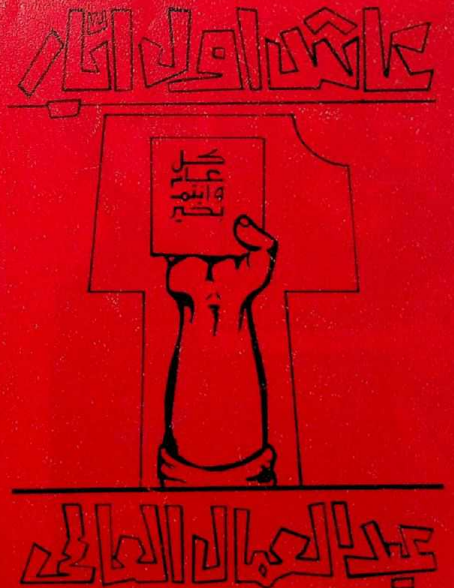

Digitized by Birzeit University Library

الجندي واللعبة

قصص اطفال

محمود شقير

الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

المراسلات: رام الله ـ ص.ب ٩٩٥
المواد الواردة لا ترد إذا لم تنشر

صاحب الامتياز والمحرر المسؤول
أسعد الأسعد ـ القدس

العددان الثالث والرابع | نيسان ١٩٨١ | السنة الثانية

المحتويات

الصفحة

لا تحمّلونا فوق طاقتنا ـ اسعد الاسعد ٣

× ملامح القصة المحلية من خلال مسيرة الكاتب في سنه ـ جمال بنورة ٣
× دراسة نقدية للكتاب الثاني من اللاز ـ عمر ابو عقاب ٧
× البخيل يواجه الحقيقة ـ ابراهيم العلم ٩
× حكاية الصياد الذي يحلم بالسمك ـ فايز منصور ١٢
× هزيمة الخاطر حسن ـ احمد حرب ١٤
× ذروة الموت / شعر ـ عبد الناصر صالح ١٧
× رونالد ريغان السينمائي ١٨
× نقرة حقيقية على دف البداية ـ سعود قبيلان ٢١
× كتاب طالعه لينين ـ ايفا بروك ٢٣
× كلب الست / اغاني ـ الشيخ امام ٢٥
× اكفاديوم ـ سلمان مصالحه ٢٧
× زهرة التغلب / شعر ـ محمد علي شمس الدين ٣٢

× الشيخ عزيز ـ جميل السلحوت ٣٥
■ ملف الادب المغربي ٣٦
× لقاء محمد بنيس ٣٩
× يوميات قلعة المنفى ـ عبد اللطيف اللعبي ٤٧
× سلاما وليشربوا بحار ـ عبدالله راجح ٥١
× المؤامرة ـ احمد بو زورفو ٥٣
× العبث والتوهج ـ ختانة بنونة ٥٤
× يوميات عربية ـ مخلص خليل ٦٠

ترتيب المواد يخضع لضرورات فنية

الثمن ٧ شاقل

Digitized by Birzeit University Library

لا تحمّلونا فوق طاقتنا

لسنا في معرض الشكوى او التوجع ، رغم قسوة الظروف والاحداث التي نعيشها ، والتي قد تجيز لنا ذلك احيانا، لكننا بقينا حتى الان نرفض هذا الاسلوب ونقاومه بشدة ، غير ان النهج الجديد الذى بدأته بعض الاقلام البعيدة عن حقيقة معاناتنا في الارض المحتلة ، هذا النهج الجديد المستهجن يدعونا للوقوف لحظات عنده ونرفض الوقوف عنده طويلا لانه لا يستحق اكثر من هذه اللحظات .

اما النهج الذى نتحدث عنه ، فهو يتلخص في ان نفرا من الزملاء العرب ، ينكر وجود ادب في الاراضي المحتلة ، وتسرع مجلات عربية ايضا لتتلقف هذا الطرح وتروج له ، كانت قبل ذلك كتبت مطولا عن هذا الادب ودوره في الظروف الراهن ، وثمنته تثمينا عاليا ، لكنها عادت لتقع في التناقض . ولا ندرى اكان ذلك عن حسن نية ، ام كان عن عمد ، وكلا الامرين مرفوض وغير مقبول نحن لا ندعي الكمال ، لكننا نصر ونؤكد ان ادبنا الفلسطيني في المناطق المحتلة استطاع رغم كل ما يحيط به من صعاب ، ان يشق طريقه بخطى قوية وواثقة نحو الطموح الذى نسعى اليه ويسعى معنا كل الاصدقاء باتجاه تحقيقه ادبنا الفلسطيني المقيم جزء من شعبنا المزروع في ارضه وهو ادب وليد مرحلة من تاريخ امتنا. ولانه لا يزال في مراحله المتقدمة . لا بد وان يتأثر بالجو العام ، السياسي والاقتصادى والاجتماعي . ولا يمكن ان تحملونا فوق طاقتنا، والا كنتم تنوون قتلنا، سواء اكان هذا القتل نابع من عدم التقدير ام كان من شدة العناق .

اسعد الاسعد

Digitized by Birzeit University Library

ملامح القصة المحلية
من خلال مسيرة الكاتب في سنة

بقلم جمال بنّورة

ان نظرة متأنية في القصص المنشورة في الكاتب خلال سنتها الاولى تعطينا بعض ملامح القصة القصيرة المحلية.

لقد نشرت الكاتب اربعين قصة قصيرة لسبعة وعشرين كاتبا. واول ما يلفت النظر ان معظم هؤلاء الكتاب اسماء جديدة في عالم القصة المحلية مع وجود اسماء قليلة لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة من الكتاب المتمرسين في كتابة القصةوالذين هم من جيل بدايات الاحتلال الذى ظهر اول ما ظهر على الصفحات الادبية في الصحف المحلية ، او على صفحات مجلة البيادر في اول عهدها . وهؤلاء تتميز قصصهم بالنضوج وبلوغ مرحلة متطورة في تقنية القصة القصيرة.

مثال على ذلك: قصة فضل الريماوى (مشغل يعيد صياغة التاريخ) وهي واقعية انتقادية عن اوضاع المعلم والتعليم ، وتصور الواقع التعليمي على نحو رائع ، وقد اجاد فيها الكاتب وصف واقع المعلم المهني والقيود المفروضة عليه بالا يخرج عن المناهج الجامدة في تدريس الطلاب وتوعيتهم ..والعقاب الذى يتعرض له في النهاية..بالاضافة الى قصصه الموجهة للاطفال والتي اتسمت ايضا بالنضوج والحبكة الجيدة التي تستهوى القارئ وتشده الى الحدث .

كذلك قصة محمد كمال جبر(والله وطز يا عاشور) وهي قصة على شكل ذكريات يرويها الشيخ عبد الرحمن لاحفاده تتناول نواح تاريخية وتراثية من زمن تركيا الى زمن الانجليز في الحرب العالمية الثانية . وقد جاءت القصة مشوقة بالاسلوب الذى كتبت به ،لتضيف جديدا لخبرة القارئ ، حيث استطاع الكاتب ان يجعلنا نعيش الماضي وينقل الينا صورة عنه ، وان يوصل الى القارئ ما يريد من افكار.

وهناك ايضا قصص ناجحة لكتاب معروفين مثل صبحي حمدان في قصته " فايز " التي تتحدث عن صمود انسان داخل السجن ، وقصة " النخلة الصاعدة" لزكي العيلة وهي قصة رمزية موجهة للاطفال . قصة " سوال " لسامي الكيلاني التي يصف فيها ببراعة الحالة النفسية لاحد الاطفال وهو يحرس مقثأة للبطيخ، ويتغلغل الى اعماق الطفل من خلال تيار وعيه ليتعرف على احلامه وتأملاته في الحياة فيجعلنا نحس بوجدته لانه بعيد عن رفاقه لا يشاركهم اللعب ، ونحس بجوعه وهو ينتظر ان ياتيه الطعام . انها تجسيد المشاعر الطفولة واحلامها البسيطة في الحياة.

كما قرأنا قصصا جيدة لبعض الكتاب العرب في اسرائيل منهم على الاخص عفيف سالم في قصته " لن يسرقوا البحر" التي يتحدث فيها عن احلام انسان فلسطيني في ان يسكن شقة تضيئها الشمس ، ويبقى التصاقه بالارض . بالشاطئ، بالبحر،اقوى من كل شيء .. ورغم انهم يحاولون ان يسرقوا منه كل شيء .. حتى حلمه .. الا انهم لن يستطيعوا سرقة البحر.. مصدر الرزق والعطاء...

سأتجاوز الان الحديث عن الكتاب الناشئين (موضوع هذه الدراسة) والذين يكتبون للمرة الاولى مع ان بعضهم ربما يكون له اكثر من قصة او ان له نتاج ادبي آخر منشور في الصحف والمجلات الاخرى .

ولا بد من الاعتراف اولا ان بعض هذه

Digitized by Birzeit University Library

القصص تبشر بعطاء جيد ..حتى لا يفهم من هذا النقد انه تجني على احد او محاولة لتثبيط عزيمة احد من هؤلاء الكتـــاب . كما انني لا اهدف من وراء هذه الكتابة الا تصوير واقعنا القصصي لتقييم القصة المحلية والاشواط التي قطعتها حتى الان .

ان قراءة القصص التي نشرت في الكاتب في سنتها الاولى تفضي بنا الى عدة استنتاجات وهي :

اولا : ان هذه القصص هي في الغالب لاسماء جديدة في عالم القصة ولذلك يظهر فيها جليا جميع عيوب المحاولات الاولى . واهمها عدم وضوح مفهوم القصة القصيرة لدى البعض منهم .. كذلك تدني المستوى الفني لمعظم هذه القصص. كما يبدو التسرع في كتابة القصة واضحا، ولعل من اسباب ذلك الجرى وراء النشر، ربما لتوفر امكانات النشر في عدد من الصحف والمجلات الادبية .. حيث لم يكن ذلك متوفرا فيما سبق. ويجب التذكير هنا ان النشر سلاح ذو حدين بالنسبة للكاتب المبتدئ وعليه ان يعالج هذا الموضوع بحذر شديد ..فالنشر بحد ذاته ليس اكثر اهمية من امتلاك الاداة الفنية التي تساعد الكاتب على التطور والنضوج ليستطيع ان يقدم ادبا مقبولا . فالموهبة او الرغبة في الكتابة وحدها لا تكفي لاعطاء ادب جيد بدون الاطلاع الواسع ، وبدون التدرب على الكتابة ..وربما يحتاج الى سنوات حتى تصقل الموهبة وتقدم عطاء جيدا.

ثانيا: ظهور هذا العدد الكبير من الشباب المتحمس لكتابة القصة (منهم واحد وعشرون نشر كل واحد منهم قصة واحدة) وهذا بحد ذاته بادرة مثيرة للتفاؤل والحذر في نفس الوقت حيث ان مقياس النجاح ليس بالكم وانما بالكيف . ولكن هذا لا يمنعنا من التفاؤل بان هذه الاقلام اذا ما واظبت بجد واخلاص فلسوف تحقق نجاحا حقيقيا في مجال الكتابة القصصية .

ثالثا: ان مضامين هذه القصص تدور في معظمها حول ، الجوع ، الفقر، النضال في سبيل لقمة العيش ، الاحساس بالضياع والتمزق ، السجن ، التمسك بالارض والتصدي لمحاولات القمع والتطويق ومصادرة الاراضي ، وكانما هي اعادة قصص سبق ان قرانا مثلها بشكل افضل ..حيث ان ظاهرة التقليد تطغى على معظم هذه القصص .. بينما نحن في حاجة الى التجديد ..وليس العيب في الكتابة حول هذه المواضيع ثانية، وانما العيب في عدم تناولها من زاوية مختلفة او اضافة جوانب جديدة خافية على القارئ لتشعره بانك تقدم له شيئا جديدا ..بحيث تستطيع ان توصل له ما تريده من افكار. " فالعمل الفني يكون جميلا حقا فقط حين ينقل الفنان لغيره كل ما اراد نقله "

بسبب قلة التجربة لدى هؤلاء الكتاب . فالتجريبية التي ينتزع اليها الكثير من الكتاب العرب تلجأ الى خلق اساليب مبتكرة في القصة ومضامين جديدة. وهي ليس لها مقاييس محددة او قواعد واصول .. انها عملية خلق متكامل .. والخوض في هذا النوع من القصص له مزالق كثيرة ويفضل ان يبدأ الكاتب بالقصة التقليدية ١١ي تدور حول حدث معين حتى يتمكن من امتلاك الادوات التعبيرية لتساعده في تطوير اسلوبه لكتابة القصة التحليلية او التجريبية كما يشاء .

وليس بالضرورة ان اول قصة تكتب يجب ان تنشر ربما يحتاج الكاتب لكتابة عشرات القصص قبل ان ينشر قصة واحدة . وهو بهذا مطالب بمراقبة النفس ومحاسبتها. قبل ان يحاسبه الاخرون على ما يكتب .

خامسا :

عدم التمكن من اللغة فجاءت الاخطاء اللغوية — لتدلل في بعض الاحيان — على جهل واضح بقواعد اللغة والصرف والنحو التي هي من الامور الاساسية التي على الكاتب ان يلم بها قبل المباشرة بالكتابة .

سادسا :

سانحدث باسهاب اكثر حول الجهل باسلوب الكتابة القصصية. فان من الامور التي يلاحظها القارئ : السذاجة في صياغة الحدث والتقرير المل وعدم الاطلاع الواسع على منجزات القصة القصيرة واساليبها الحديثة . كذلك الكتابة الانشائية ، والبداية السيئة او النهاية السيئة غير المبررة . كل ذلك يبدو واضحا من قراءتنا لهذه القصص، وكنت ارغب في استعراض الكثير من القصص لادلل على هذا الرأي لو كان المجال يتسع لذلك .

كذلك من الواجب ان يعرف الكاتب قبل البدء بالكتابة ماذا يريد ان يقول ؟ ولماذا يكتب ؟ وليس المهم افراغ فكرة معينة تدور في رأسه باسلوب المقالة او الخاطرة ..

وليس المهم كذلك رواية حدث معين رآه الكاتب وتاثر به باسلوب هو اقرب الى الحكاية .. المهم هو استشفاف معنى معينا من الحدث يريد الكاتب ابرازه للقارئ .. فيبدأ بتطوير الحدث الذي يؤدي الى الصراع (وقد يكون هذا الصراع داخليا في نفس الشخصية

Digitized by Birzeit University Library

خارجيا مع الظروف المحيطة) وينهي اخيرا بلحظة التنوير او ما يسمى اكتمال الحديث. كذلك فان هدف القصة في النهاية هو تفسير الحياة واستكشاف حقائقها من اجل تغييرها.. وقد قال ماركس: "ان مهمة الفن ليس في تفسير العالم وانما في تغييره". والقصة القصيرة تتطلب القاء ضوء ساطع او ومضية مركزة على شيء فكرة.. او هدف.. او شخصية لاستكشاف اغوارها وتعميق احساسنا بها.. ويلاحظ ان بعض الكتاب يسطحون شخصياتهم، ولا يغوصون في اعماقها فتبدو شخصيات باهتة او مركبة من ذهن المؤلف وهم كذلك يحركون شخصيات قصصهم كما يريدون هم، بدلا من ان يتركوا الشخصية تتصرف على طبيعتها، فينطقونها ما يريدون هم ان يقولوه وليس بما ياتي على لسانها منسجما مع تكوينها النفسي والاجتماعي والفكري.. فتاتي الشخصية ضعيفة باهتة وغير مبررة فنيا في تصرفاتها وحركاتها، وهذا يضعف القصة في النهاية.

نقطة اخيرة لا بد من الاشارة اليها وهي غياب كثير من الاسماء التي ظهرت في اواسط السبعينات من خلال مجلة البيادر والصفحات الادبية في الصحف المحلية.. ولا اتمنى ان يكون ذلك بسبب الانقطاع عن الكتابة او التوقف عن العطاء.. حيث ان هؤلاء الكتاب هم الذين اعطوا للقصة القصيرة زخمها وطابعها المحلي ونكهتها الفلسطينية تحت واقع الاحتلال الذي القى بظلاله على مضامين هذه القصص وشكلها الفني المتطور. رغم ذلك فهناك بعض الكتابات التي تبشر بعطاء جيد وكنت ارغب في مناقشة جميع القصص التي نشرت لولا ضيق المجال. ولذلك ساكتفي باختيار بعض النماذج التي تشكل انطلاقة جيدة في اتجاه الكتابة القصصية. مثال على ذلك ابراهيم جوهر الذي اعتبره من الكتاب الذين تجاوزا مرحلة البداية ويبقون طريقهم بعزم وثبات لتاصيل تجاهم الادبي وتطويره الى مستوى راق. وقد نشر عددا لا باس به من القصص. منها قصة "غدا عند الشروق سنلتقي" وفكرة القصة جيدة، وهي تتناول اوضاع الطبقة العاملة، والنضال المطلبي الذي يخوضه العمال ضد صاحب الورشة والمراقب الذي يقوم بالدور التنفيذي لصاحب العمل واخيرا اهتدا ملهم الظافر الى الطريق الصحيح الذي عليه ان يسير فيه من اجل التحرر الاقتصادي والسياسي وقد نجح الكاتب في توصيل افكاره الى القارئ لولا بعض الهنات التي وقع فيها مثل مخاطبة المراقب لحاتم: "انت كسول يا استاذ حاتم" كذلك نعلم ان حاتم يحمل شهادة ليسانس في اللغة العربية، ثم نعلم انه تعلم في دولة ملحدة" كيف يكون ذلك؟ لم نسمع ان احدا ذهب الى الدول الاشتراكية ليتعلم اللغة العربية هناك كذلك نعلم ان امه تبحث له عن عروس حسب مواصفات اعطيت لها من قبله.. هل هذا معقول؟ ثم يتذكر حاتم ان صديقه محمود كان يدعوه بالاحمر في ايام الدراسة.. ثم يذهب اخيرا ليتبع الطريق الذي سار فيه محمود وكنت اعتقد ان العكس يجب ان يحدث. واخيرا لم يكن الكاتب في حاجة لحشر كلمات انجلز في القصة.. فكانه جاء بتلك الكلمات ليعرف حاتم هوية صديقه فقط. وليس الخطأ في توظيف الكاتب للافكار التي يحملها في قصصه. ولكن يجب ان يبدو ذلك طبيعيا دون تدخل منه بحيث يترك شخوصه تعبر عن نفسها بحرية وتنطق بهذه الافكار في الوقت والمكان المناسب.

اما في قصة "العودة" يتطرق الكاتب لموضوع الارض. وتدور القصة حول شخصية محمود الصابر الذي يتخلى عن مبادئه ويسافر فجأة الى السعودية. ويبدو تحوله دون مبرر فني لذلك. وتبقى هذه الشخصية غامضة غير مفهومة.. وهي تبقى كذلك حتى في عودتها المفاجئة الى ارض الوطن.. فالكاتب لا يسلط عليها الاضواء الكافية فهي غائبة عن مسرح الاحداث. ونحن نتعرف عليها فقط من خلال شخصية الراوي الذي هو الكاتب نفسه.. بالاضافة الى المقدمة التقريرية في بداية القصة التي تبدو زائدة اي انها لو حذفت لما نقصت القصة شيئا. رغم ذلك فالقصة ناجحة في بنائها الفني ومضمونها.

ننتقل الى كاتب آخر.. عمر ابو عقاب في قصته "اشجار التين لا تخاف الطائرات" القصة رمزية.. وهي محاولة لانطاق شجرة التين التي تتحدث الى الطفل عماد الذي يبادلها الحديث وهي لا تخاف الطائرات التي يخافها عماد. ولكنها تخاف الاقتلاع. عندما ياتي الغرباء بجراراتهم فيلتصق الطفل بجذع الشجرة لا يريد الابتعاد عنها مما يؤدي الى اصابته براسه. الرمز في القصة واضح ولا يحتاج الى تفسير وهي في الوقت نفسه تصور بحس صادق مشاعر الطفل الغامضة تجاه الطائرات والغرباء.

اما قصته "ابو عماد" فهي قصة محبوكة بشكل جيد لولا المسافة الزمنية الطويلة التي تدور خلالها من قبل النكبة الى ما بعد ايلول سنة ٧٠ ولو جاءت على شكل تداعي شخصية مركزية هي "ابو عماد" الذي تشفي به المأساة الى حافة الجنون بعد فقد ابنه وحفيدته "ثورة" لم يعجبني في القصة الموقف الذي اتخذه

Digitized by Birzeit University Library

المتفرجون من ابي عسان في المخيم.. ومعاملته كانسان مجنون يثير الضحك وممن؟ من اناس عانوا مثلما عانى هو ايضا.

"اوغاد" قصة تتنفس هواء الحرية قادمة الينا من سجن نابلس لكاتب يدعى راضي عبد الجواد وهي تصور مشاعر فتى في الخامسة عشرة اثناء عملية تطويق وتفتيش.. وكان يمكن ان تكون القصة جيدة لولا التقريرية والعاطفية المتهافتة في وصف مشاعر الناس اثناء عملية التطويق.

"الحذاء" لحسن ابو لبدة. قصة محبوكة بموهبة فنية قادرة على العطاء.. وهي تصوير للفوارق الطبقية في المجتمع.. ولكن كان على الكاتب ان يقنعنا بتصرفات بطله.. فلم تات تصرفات هشام مقنعة او مقبولة لدى القارئ. لا تكون هكذا معالجة الفارق الطبقي بين هشام الطالب الجامعي وزميلته ليندا. كونه فقيرا يجب ان يحقره لاثبات الذات.. لا ان ياتي بتصرفات غير معقولة.. تقنعهم وتقنع القارئ ايضا بجنونه في النهاية. مع ان القصة كتبت باسلوب جيد تنم عن موهبة حقيقية. الا ان الكاتب جانبه التوفيق في وضع نهاية القصة كان افضل به لو انه جعل هشام ينسحب واضعا حدا لعلاقته بهؤلاء الناس بدلا من ان يرفع حذاءه في وجوههم.. مما يضطرهم للانسحاب واتهامه بالجنون.

"الرد" ـ عبد الكريم قرمان.

تدور القصة حول مصادرة الارض، ورد الاهالي على ذلك بالاعتصام في الارض والتمسك بها والدفاع عنها. قصة عادية لم ترق الى المستوى المطلوب في القصة القصيرة وهي لا تمثل تطورا في قصص قرمان التي قرأناها سابقا.

"الريس ابو سمرة" ـ عثمان خالد ـ خان يونس

القصة وصف جميل لحياة البحارة في سعيهم وراء الرزق. ولكن الكاتب لا يغفل عن حقيقة ان الصيادين الذين يقومون بالصيد اثناء الليل لا يحق لهم الرجوع الى الشاطئ قبل طلوع النهار.. وتشتد عليهم الريح العاصفة، ويوضعون امام خيارين. الموت غرقا او المخاطرة بالعودة الى الشاطئ.. ويرضون اخيرا بالخيار الثاني.

"اشلاء ومذاقات اخرى" ـ باسم احمد باسم.

ترصد شخصية مهزوزة من خلال صراع نفسي حاد. فالشخصية ناقمة حاقدة على الاوضاع المحيطة ولكنها غير فاعلة. وقد اجاد الكاتب في وصف هذه الشخصية في تمزقها وتحطمها وتمردها.. رغم انها لا تتخطى حدود الموقف النظري الى مجال العمل الجاد ومجابهة الواقع.

هذه نماذج لبعض القصص التي تمثل بدايات جيدة لكتابنا الناشئين ولقد تعمدت الكتابة حول بعض الملامح العامة للقصص التي نشرت في الكاتب. وكنت ارغب في استعراض جميع القصص وتناولها بالنقد والتحليل لولا صعوبة ذلك وضيق المجال.. وليس بغية التقليل من قيمة هذه القصص التي يبدو في بعضها وميضات واعدة.. ولكن كما قلت لا تتجاوز مرحلة البدايات والمحاولات الاولى التي نامل ان تقدم عطاء جيدا في المستقبل.

غير ان هذه القصص في مجموعها لم تشكل اضافة ملموسة للقصة، ولم تساهم في تطوير القصة المحلية التي ما زالت تراوح مكانها فهي لا تعدو كونها اضافة كمية نامل ان تتحول الى اضافة نوعية مع الممارسة والمثابرة على تثقيف الذات والمواظبة على الكتابة.. حيث ان هذه القصص في معظمها مصابة بعيوب المحاولات الاولى والارتجالية المكررة.

وهذا لا يعني ان القصة المحلية متخلفة عندنا فليس ما قرأناه افضل ما يكتب عندنا.. فهناك بعض المجموعات القصصية التي نشرت وبعض الكتابات المتفرقة التي تعطي صورة اوضح عن واقعنا القصصي الذي يتميز بخصوصيته النابعة من كونه ادب الارض المحتلة.

اخيرا لا بد من الاقرار ان جيلا آخر من الكتاب ينشأ ـ استطيع ان اسميه الجيل اللاحق لجيل بدايات الاحتلال الذي ظهر في اواسط السبعينات.. كما ان هناك كتابا آخرين لم نقرأ لهم في صفحات الكاتب او ربما لم يتح لهم مجال النشر حتى الان.. كذلك لا استطيع القول بان الكاتب دفعت بالقصة المحلية الى الامام بالمقارنة مع ما نشر من قصص متفرقة او في مجموعات (وليس هذا ذنب الكاتب) انما يمكن القول بانها فتحت الباب لاقلام شابة جديدة ما زالت تتلمس خطاها وتتعرف على الطريق الشاق الذي اختارت ان تسير فيه.

Digitized by Birzeit University Library

دراسة نقدية

في الكتاب الثاني - الزمن الحراشي

اللاز - الوجود - يستعد لتقبل الماهية

بقلم عمر ابو عقاب

بالامكان ومن اول وهلة ان نستنتج ان الطاهر وطار قد رمز للشعب بشخصية اللاز، الذي بقي غائبا عن الوعي على طول الرواية، ومنذ انتهاء حرب الاستقلال الوطنية وقيام الدولة، وبالتحديد بدءا من حادثة الغدر بزيدان والده، على يد الاتجاه الرجعي الديني في جبهة التحرير، وكان الغدر بزيدان رمزا لتنكر الرجعيين لتضحيات الشيوعيين الجزائريين رواد النضال القومي والاجتماعي في الجزائر، وخطوة على السبيل الموصل الى تجيير المكاسب الوطنية لحسابهم الخاص. وكان سكوت الشعب الجزائري عن ذلك الغدر نكسة للديمقراطية في الجزائر، وعقبة وقفت حائلا دون تطوير المكاسب الثورية تطويرا خلاقا لمصلحة الجماهير الجزائرية الكادحة. لقد كان يتم اللاز بمقتل زيدان يتما حقيقيا موقتا للجماهير الجزائرية، واللاز يرفض الا ان ينتمي الى الجماهير المسحوقة رغم غيابه عن الوعي. فتراه يرفض ان يخلع عن نفسه البدلة العسكرية بعد الحرب ويبقى على ذلك ردحا من الزمن يعاني معاناة اشد ايلاما من معاناة الحرب. ان الموجود اللازي - الوجود الجزائري - ينحدر في الوعي الشعبي من الظلمة - الاصل - مرورا بالابطال الجزائريين كسيدي عبد القادر الى اللاز الذي تستقر ملامحه في وجوه الاطفال الجزائريين

اما جميلة الفتاة المتطوعة الحمراء فهي تجريد لكل الجميلات الجزائريات على طول التاريخ الحقيقي للجماهير الجزائرية. انها امتداد للبطلات الجزائريات كالملكة ديهيا والقائدة الكاهنة ولالاخديجة.... الخ.

وجميلة - الثورة الديمقراطية الشعبية ليست كذلك فحسب بل هي الشكل الارقى للجميلات " فهي تكافح في واجهات لا حصر لها. انها تهاجم" ان هذا الامتداد الهائل للشخصية جعلها ذات ملامح دقيقة التحديد بحيث باتت قادرة على الانعتاق الكلي من ارتباطها بخالقها المولف، وبحيث باتت قادرة على تخيله، انها تتصوره ضمن علاقة تربطه باللاز - اي الشخصية التي سبقتها في الخلق وساهمت في تشكيل وعيها من ناحية وتربطه من الناحية الاخرى ببابلو نيرودا وزيدان والشياح المكي. وبجميع الابطال الثوريين الحقيقيين الذين نسيهم الناس في الزمن الحراشي.

وجميلة رغم استقلاليتها تظل مخلوقة الطاهر وطار لا كشخصية في روايته وحسب بل وكفتاة من الجيل الذي تثقف على اعماله الادبية وتشكلت مفاهيمه وآراؤه بفضلها، لذلك فهو بالنسبة لها براهما. وخوفا من ان نتهمه بالغرور اورد مقاطع من اشعار نيرودا واقرن اسمه باسمه في ذهن

Digitized by Birzeit University Library

جميلة ليقول لنا ان جميلة ـ المفاهيم والاراء ـ لم تتشكل كنتيجة لادبه فقط، بل تأثرت بالتراث الامسي لبابلو نيرودا وغيره ولعله قد هدى من وراء ذلك ان يغني شخصية جميلة ويعمق استقلاليتها العضوية عنه شكلا وموضوعا

ان براهما كما تقول الاسطورة الهندوكية ينشطر شطرين احدهما رجل ـ اللاز ـ والاخر امرأة ـ جميلة ـ . لينتج من تزاوجهما ـ برات ـ اللاز الجديد ـ وهذا ما يتم بالفعل فاللاز الوجود الجزائري سوف يبدأ عملية تطوره الى الماهية الجديدة في نهاية الرواية . ويكون تطوره على يد جميلة الفتاة الدائمة الحمال التقدمية التي تحمل لواء الثورة الزراعية والاشتراكية ، والمتمتعة بالوعي والخبرة والحنكة والمرونة والقوة والثقافة .. لقد خلق الطاهر وطار شخصية جميلة بعناية بارعة خلقها لتكون الشق الاخر للاز ـ الوجود ـ اعدها لتكون الرحم الذي سوف يحتوي اللاز ليتحد فيه فيخرج من تلاحمهما شيء عظيم وفجر يقترب .

وهكذا كان لا بد وان يستيقظ اللاز لكن المؤلف يقول ان الامر لم يكن بيده، فاللاز تراث انساني . انه رمز لكل الشعوب المقهورة المستغلة في اي مكان في كل مكان لم تقم فيه ثورة العدل وفي كل موطن يدبح فيه زيدان.

ولكنه يحدث وان يستيقظ في احدى قرى الجزائر، حيث تطبق الثورة الزراعية وحيث يتطوع فوج من الشباب الجزائريين المتسلحين بالنظرية العلمية ، لاز ما على يد فتاة رائعة، اسمها جميلة وهكذا ينتهي الكتاب الثاني من اللاز ونبقى نحن في حيرة من امرنا ترى ما الذي سيحدث بعد ان يستيقظ اللاز؟ هل سيتم اللقاء بينه وبين جميلة؟ هل سيقترن الوجود بالماهية فيخرج الى الوجود لاز جديد رائع ؟ " تمنت لو انها تزوجته وانجبت منه لازا جديدا لا يعرف الشقاء الذي عرفه ابوه " ص ـ ٢٤ ـ

ومرة اخرى نتوقع ان يقول لنا الطاهر وطار . ان الامر ليس بيده. ولكن من حقنا ان نكون متفائلين بصدور الكتاب الثالث من اللاز ليحكي لنا قصة شعب استيقظ على الراية الحمراء، ومضى يبني لاجياله المقبلة مستقبل الاشتراكية الوضاء .

وكما كان اللاز ملحمة لكل شعب هب مدافعا عن ترابه الوطني ضد قوى الاحتلال والاستعمار مضحيا بكل عزيز في سبيل وجوده وترابه الوطني ملحمة تصارع فيها العد والجزر. تحقق فيها الانتصار على المستعمر من ناحية فطرد . وتأمرت فيها الرجعية على زيدان الرائد الفذ فذبح . ولكنها في المحصلة قد وصلت بالثورة الى مستوى ارقى . وحافظ الشعب على وجوده اللازي ـ فقد جاء اللاز الثاني ملحمة تؤرخ للمرحلة الجديدة من النضال الثوري في الصراع بين قوى الرجعية والظلام من جهة وبين قوى الاشتراكية العلمية الواعية من الجهة الاخرى .

ويكون الزمن الحراشي المقيت قمة ذلك التأزم . والمستنفع الذي تختمر فيه عوامل التغيير وتنضج لتقفز بالواقع قفزة نوعية ويستيقظ اللاز ويبدأ الوجود المحض في الاستعداد لتقبل الماهية الجديدة .

والان هل نعطي انفسنا الحق في توقع كتاب لاز ثالث؟ لقد تركنا الطاهر وطار معلقين نتساءل . ترى ما الذي سيحدث؟؟ لم يقل الطاهر وطار شيئا . ولكن تجربة الحياة والنظرية العلمية التي نتسلح بها في دراسة حركة المجتمعات عبر التاريخ تمنحنا القدرة على استشفاف اشراقة الفجر الجديد التي تلوح في أفق الجزائر . مبشرة بمولد لاز عظيم .

وبانتهائنا من قراءة الكتاب الثاني من اللاز ـ العشق والموت في الزمن الحراشي ـ للطاهر وطار نشعر بالحنق ليس فقط لاننا لا نحصل على اجابات لتساؤلاتنا تلك بل ايضا لانتهاء

هذه الرحلة الممتعة التي حملنا خلالها الطاهر وطار الى اجواء فنية رائعة وخلاقة ونتمنى لو كان باستطاعتنا ان نطمئن الطاهر وطار . اننا لا ننضعه في المرتبة العشرين ولا في المرتبة الرابعة عشرة بل في المرتبة الاولى .. اننا نعتقد ان الطاهر وطار قد وصل برواياته اللاز الى مصاف عظام الروائيين العالميين الذين سيبقى ادبهم خالدا خلود الظلمة والنور خلود الشعوب صالحا لكل زمان ومكان ...

Digitized by Birzeit University Library

البخيل يواجه الحقيقة

بقلم ابراهيم العلم

رائحة الطعام الذي بدأ ينضج شرعت تفوح من الاناء. فداخلها شعور بالراحة الى انها ستفرغ من عناء هذا اليوم. فليس ثمة اثقل على نفسها من اعداد الطعام في هذا البيت، لان ما تعده ينبغي ان يخضع لنظام دقيق من حيث كمية المواد التي تستهلكها. ومع ذلك فهي صابرة على ما قدر لها.. ما هم اولاء اولاد ما قد بدأوا ينمون بسرعة ويقفون الى جانبها لانهم يعلمون كم قاست من عذاب مع هذا الزوج البخيل.. على ان هذه الصفة لم تكن ظاهرة بارزة في سلوكه قبل ان يشرع في بناء البيت ويستدين لاتمامه.... حقا ان منظره يشرح الصدر باتساعه وجماله فهو مؤلف من طابقين. ولكن داخله جحيم يوشك ان يكتم انفاسها.. اذ لقد جعل الرجل يقفل كل خزانة تحتوي على شيء يمكن ان يستهلك، وللطعام مواعيد. فالويل لمن يشتهي التهام قطعة خبز بين الوجبات. والفواكه تؤكل في اوقات. معينة من الاسبوع لا تتعداها.. اما التلفزيون فتحظر مشاهدته بعد التاسعة والنصف

Digitized by Birzeit University Library

مساء. وله في ذلك حكمة تتصل باستهلال الكهرباء لان ثمنها تضاعف بانخفاض القيمة الشرائية للشيكل.

ودخلت ابنتها الى المطبخ فالتفتت اليها وقد ثابت من مواجسها، فقرأت في عينيها هما يضيق به صدرها.. وهل كانت تتوقع أن تراها مستبشرة وقد قدر عليها ان تولد في أسرة يحكمها اب كز فظ، فبادرتها قائلة:

— هل يرضيك أن اكون هدفا لتندر زميلاتي؟

— خيرا يا بنتي، لا عاش من يسخر منك.

— ولكن هذا ما حدث، فقد سخرت زميلتاى وحاب وسحر من قدم فستاني. قلن انني لا اشترى فساتين جديدة.

— وكيف عرفتِ أننا نشترى الفساتين المستعملة ثم اردفت بألم.

— مما يؤسف عليه أن اباك يتجاهل انك في السنة النهائية من دراستك الثانوية.. ومن يجرؤ ان يدعي لديه امرا.

— بالله عليك.. لمن يدخر المال؟ هل يامل نحن يديش مرتين؟

نحن والحمد لله ميسورون، فلم البخل؟ ابي مجنون بحب المال، قمتى يبرا؟

— ان اخاك صبري يعمل الآن وسيتمكن من شراء فستان جديد لك حالما عن اول راتب.. اصبري يا ابنتي فلا بد ان تفرج.

وصمتت الفتاة فلا سبيل الى تغيير الحال ما دام هذا الاب على قيد الحياة.. غير انها لن تقدم على الانتحار كما فعل اخوها الاصغر.

وما كادت تذكر تلك الحادثة حتى ملأها شعور بالتعاسة كمن سقط في بئر عميق الغور وقفز الى خاطرها ان ماساتها لا تتكرر في العالم، صحيح ان محاولة شقيقتها الانتحار امر عادى فما اكثر الشباب الذين حاولوه.. اما ان ينتحر لانه يطلب حذاء فيرفض طلبه، فموقف ربما لم يصدقه احد لو سمع به، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة.

زملاؤه في المدرسة يهزأون منه بسبب حذائه الذى تعلوه الرقع، وما هو يواجه والده برغبته فيجيبه في تهكم

— كنت في مثل سنك اعمل اجيرا عند اسكافي ولم اكن افكر في شراء حذاء جديد.. اما انت فقد افسدك الدلال كما افسد اخوتك.

ولكن اخاه لم يعد بحاجة اليه الان. قال ذلك في نفسه، فليته تخرج مثله في المدرسة الثانوية والتحق بعمل، اذن لاشترى الحذاء دون ان يلجا اليه.

فما اكثر ما ادل عليه والده بانه التحق بالعمل صغيرا، بيد انه لا يذكر ان تجارته في الجلود المدبوغة هي التي انتشلته من وهدة الفقر ولا سيما بعد حرب حزيران.. كان الناس يعانون من الذهول في اعقابها، حين نشط للتجارة والبيع بين تل ابيب وحيفا وبين المدن المختلفة الاخرى، "ان اي غبي، كان يمكن ان يثرى من التجارة في تلك الاثناء" قال الشاب يغضب بينه وبين نفسه.

ووجد نفسه يسرع الى غرفة المطبخ ويمسك زجاجة (الفوليدول) ثم يجرع منها بضع جرعات غير انه لم يحتمل الالم الذى تفشى في معدته فطفق يصرخ طالبا النجدة فاسرعت الام وركض اخوه فزعين وحملاه الى المستشفى، اما هو فقد تلكأ في الذهاب معهما، ولكن عاطفة حارة سيطرت عليه بعد ذلك، فاوقف سيارة كانت تمر من امامه وقال لصاحبها:

— أن ابني سيموت في المستشفى، ارجو ان تنقذلني بسرعة.

ظل ملازما لسريره يومين بطولهما لم يتناول خلالهما الا قليلا من الطعام وقال في نفسه:

— لم اقيمة للمال اذا مات ابني.. لا بد ان اشترى كل شيء يرغب فيه.. يا رب انا قاصد اعتابك فلا تخيب رجائي..

بعدما خرج ابنه من المستشفى معافى كان اول شيء فعله ان اشترى له حذاء وقدمه اليه بضراعة وحب وتعانقا بحرارة.

— ولكنني سافاتحه في شراء الفستان بالرغم من انني اعلم انه سيرفض طلبي.

وصدق حدسها.. لم يلب رغبتها الا ان صوته كانت تشيع فيه رنة انكسار، اذ ما زالت صورة ابنه ماثلة امام عينيه، فلم ينسى ان يعدها خيرا في الايام القادمة.

في اليوم الثاني كان يستعد لاستقبال سيارة الشحن المحملة بالجلود، فذكر زوجته بانه قد يتاخر قليلا الى ما بعد العصر لانه ذاهب الى حيفا..

وما كاد يصل الى الباب الخارجي الذى يفصله عن مدخل البيت حديقة صغيرة، حتى فوجئ بدورية من الجند مدججين بالسلاح تقف جواره. وشاهد بينهم ابنه صبري، فخفق قلبه

Digitized by Birzeit University Library

بحدة واحس شرا دامها لم يحس بمثله من قبل بالرغم من ان عهده بمداهمة الدوريات غير بعيد فقد حضروا قبل اشهر وفتشوا البيت بدقة بحثا عن ابن شقيقته المتهم باحدى العمليات، وكان سلوكهم فظا حيال الاسرة فقد لكموا صبري عدة لكمات. دون جريرة اقترفها فتركت ندوبا في وجهه بيد انهم لم يدخلوا غرفة النوم عندما علموا ان بها ظفلة نائمة وقد ازال هذا الموقف كثيرا من مشاعر الحقد التي انتابته.

ولكن الامر الان يفترق عن السابق.. انه مختلف تماما.. جنود في عيونهم الجد والقسوة وبينهم يجلس ابنه كحمامة وديعة، وقد بدا شاخع النظرات صامتا وكان الامر لا يعنيه، ما اغرب هذه الحال وما اشد هولها.

— ما اسمك ؟

قال قائد مـــــم

— عايد ابو عصب.

— ان ابنك صبري متهم بالقيام بعملية وهو معترف.

تشتدت نبضات قلبه كانها قرعات الطبل وشعر بدوار حاد.. سيتعرض اذن لتعذيبهم وربما حكم عليه بالسجن مدة طويلة.. ان مال الدنيا لا يجلب له الراحة بعد ذلك.. ود لو يعانق ابنه وينجيه من قبضتهم.. ولكن ما جدوى هذه الامنية وهو اعجز من ان يتحرك قيد انمله.. نظر الى ابنه فراه يحدق اليه ثم ما لبث ان اشاح بوجهه وكانه يتجنب حراجة الموقف ربما لانه لا يريد ان يضعف امامهم او يزيد من كمد والده، ثم نظر اليه ثانية وابتسم بثقة غير ان ذلك لم يخفف من جزع الاب شيئا.. سيعذب ابنه وسيسجن لامناص من ذلك فمن له بمن ينقذه من براثنهم.

وجذب احدهم الشاب من كتفه الى خارج السيارة فسار مع القائد يحيط به الجنود حتى توارى خلف المنزل، فتبعهم بخطوات حذرة واهنة...

— ترى اين ذهب ابنـي ؟

همس بذلك بينما بقيت انظاره مشدودة الى حيث اتجهوا، وما هي الا ان عادوا ومعهم البندقية التي كان يخبئها.

فشعر ببرودة تسرى في اطرافه وبصداع قاتل، وقال للقائد بصوت ضعيف :

— لقد خدعوه.. والله العظيم خدعوه.. ابني مظلوم يا خواجة. غير ان الشاب قاطعه قائلا بحدة :

— ابي.. لا داعي لهذا.. لم يخدعني احد.

ثم اردف :

— آسف لما سببته لك من الم.. اعتن بصحتك وارع امي واخوتي.

عندما غيبهم منعطف الشارع.. حانت منه التفاتة الى سيارة الشحن فراى السائق جالسا خلف المقود وكانه شد اليه بالحبال فاتجه اليه واخبره ان يذهب وحده بالبضاعة. ولم ينس ان يطالبه باحضار الثمن..

واستدار راجعا. فراى زوجته تبكي بحرقة وهي تحتضن ابنتها. التي كانت تنتحب على صدرها مما استثار اشجانه. فشاركهما البكاء وعانقهما بحنان.. وما لبثت فكرة نسف البيت ان قفزت الى ذهنه فذهل عن التفكير في مصير ابنه وخلت ذاكرته من كل شيء ما عدا امرا واحدا

عناء العمر سيتلاشى مرة واحدة.. ان هذا ليس عدلا.. ليس عدلا.. بيد انه ما عتم ان استسلم امره لله.

— لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا.. يجب الا انهار.. انا الذي بنى البيت وانا قادر على ان اعيد بناءه.

قلم يتهاو عندما جاءته الدورية من جديد تامره باخلاء البيت تمهيدا لهدمه وامهلته ثلاث ساعات.

ولشد ما كانت دهشته عندما رأى سكان الحي يتطوعون لنقل الاثاث.. كانوا يدخلون ويخرجون في سرعة البرق حتى اتموا مهمتهم..

وما ان دوى الانفجار داخل المنزل حتى كانت الجدران تهتز وتتساقط فتتبعثر حجارتها بغير نظام تصحبها جلجلة، فاحس كان قلبه يسقط معها، وكان صوت زوجته يعلو بالبكاء الامر الذي حرك عواطف الناس. فدمعت العيون دون ان يجرؤوا على ان يعلقوا بشيء امام الدورية.

واقبل عليه احد الجيران بمودة وقال :

— عندي شقة خالية وكانها معدة لك.. ابق فيها حتى نعيد بناء منزلك. فاشرقت اساريره.. شعر ان سكان الحي كلهم اهله واقرباؤه، يجب ان يتجلد امامهم لانه لن يخشى مكروها فما اسخفه عندما ظن ان المال وحده يبعث الامان..

وتنفس الصعداء كانما يبصر النور بعد ظلام دامس طويل..

× × × × ×

Digitized by Birzeit University Library

حكاية الصياد الذي يحلم بالسمك والحمام واشياء اخرى

بقلم فايز منصور

توقفت السيّارة في منتصف المسافة فوق جسر قريبا من حافته التي تطل على واد جاف، يبسط قاعه حصى ابيض املس، تحف به اشواك جافة، وبقايا اعشاب. تتناثر هنا وهناك خلف الاحجار وفي الحفر، كما وينحدر قريبا من الجسر كوم من الاوساخ، والصلب الفارغة، وحطام سيارات، واكياس ورق فارغة، ترجل من السيارة رجلان اشقران. ينتعلان زوجين من الاحذية الرياضية، يتدلى من رقبة احد هما كاميرا، والاخر يقبض على بندقية صيد من وسطها، "تقدما بحذر، واطلا على واد فبديا كندبتين فوق بطن الوادي المنتفخ بالجسر يعلو وجهيهما المعرتين علامات. تعجب واستفهام: سال احد هما:

— ماذا. يعمل هذا الرجل هنايا. ترى. واشار بيده الى اسفل.

اجاب عيزرا — هذا تمثال .. وابتسم من طرف فمه حرك بول راسه.

— لا، انظر اليه جيدا، انه يحرك يده، اخفى عيزرا حقيقة معرفة سر هذا الرجل وافتعل موقف اللامبالاة. وقال:

— هذا معتوه، هيا...

— قبل ان نعرف سر هذا الرجل؟ كان بول مشغوفا بالشرق، قدم خصيصا من بلاد البرد حيث الدفئ والاثار والارض البكر وقصص الف ليلة وليلة.

— انظر يا عزرا: انه صياد.

لبس عيزرا عيونه الطبية واحنى قامته الطويلة وفجأة فتح فمه.

— ماذا؟!.

— حقا انه صياد.

— ولكن ماذا يصيد في منتصف الصيف، وفي هذا المكان الجاف. قرب هذه اللعينة التي تصدح رائحتها الراس.

— انت لا تعرف يا بول.. كتم في نفسه بينما تشجع بول لمعرفة حكاية. هذا الصياد

— عيزرا لنذهب اليه

— لا. سحبه بول، لكن عيزرا ليس معه، كان. ذهنه يجمع خيوط قصة مع ذلك الزنجي في مدينة ممفيس+ (نفس المشهد، ولكن البشرة تختلف. هذا حنطي وذاك اسود، لعله يتشبث بالحياة ايضا هذا الاخر، عليهم اللعنة هو"ء الرعاع). على حافة الوادي جلس الرجل، شيخ طاعن في السن، لكن ملامحه تحكي ماض عريق. كان يفترش التراب، ويسند ظهره الى قلعه. يمسك عصا طويلة من طرفها الثخين، ويتدلى من اعلى الطرف الاخر خيط ينتهي بدبوس الراس،

Digitized by Birzeit University Library

وبجانبه وعاء فيه علبة كبريت ودخان ودفتر ورق خفيف، يبدو هذا الشيخ ولوازمه كصورة على ورقة، وحول الشيخ يتغمر عصفور دوري يالف الشيخ. احس الشيخ بشيء ما وخزه. خمن انه ذبابة. (ما الحر هذا الذباب.. لم يبق لنا سوى ... اسمع همهمة). ابدى عدم اكتراث. (لعلهما من المتطفلين الذين يلوكون الكلام او غربان ضالة) تناول الدخان والدفتر وتبان بدا عملية الكيف البسيطة، تنحنح عيزرا الذي يفهم في الاتيكيت. وقدم ولاعته الذهبية كما يفعل في غرفة التحقيق بينما جهز الاخر كامياه استعدادا لالتقاط صور، دار الشيخ براسه وحركه يمنه ويسره.

قال بول — معذرة ايها الشيخ الصياد ماذا تفعل هنا؟

اجاب الشيخ بسخرية — كما ترى، اصيد ...

— هل تقدم سمك من الطعم؟

— لا

— منذ متى تصيد السمك هنا؟

— منذ ثلاثين عاما.

— لكنه لا يوجد سمك ولا ماء، والجو حار جدا ... نظر الشيخ اليه باشمئزاز ثم قهقه فرددت الجبال قهقهته مما افزع الصدى الرجلين، وقد لاحظ الشيخ ذلك فسأل:

— خفتما؟

— انا لا، ولكن ايها الشيخ يبدو انك تحب هذا المكان.

— حب الحص والنجوم.

— لماذا؟

— هنا عاش اجدادي ومستقبل اولادي

— في هذا الاخدود؟

— تصنع من العلب الفارغة ملاعق.

كان عيزرا يسمع حديثهما (نفس الاسئلة التي طرحتها على الزنجي في ممفيس، انهم في كل مكان. هؤلاء الكسالى، مسح العرق عن عينيه الزرقاوين وسأل بول متى نعود؟

— ليس قبل معرفة حكاية هذا الشيخ، ان الشرق ارض العجائب، كان حلما ان أزور الشرق. عاد وسأل الشيخ.

— هل تنام هنا ايها الشيخ.

— نعم

— بلا بيت

— كان لي بيت، واشار الى الجسر.

— هل لك زوجة واولاد

— داستهم السيارات.. ونظر الى السيارة الواقفة على الجسر — تلك واحدة

— ولكنك قلت ان لك اولاد

— كل الشباب اولادي

خرج عيزرا عن اطواره، بعد ان سمع تحدي هذا الشيخ وجسارته وصاح.

— انت القاتل يا شيخ، انت همجي، عدو الحضارة. احمق،

— انتما الاحمقان، احلامنا تزن الجبال. رزانة. وتخالنا جنا اذا. ما نجهل، انتفض الشيخ وسرى الدم في عروقه التي تمتد عبر التوبة وراء السمك والحمام. ينزفون على صدري الرجلين، فتح يده وفرق اصابعه ومد ذراعه يخفي المنظر الدموي وصاح.

— انتما قاتلان ولوح بعصاه..

— تريد العراك ايها الشيخ الهرم، انهم يا بول يجبروننا على قتلهم. عبأ عزرا بندقيته ووضع اصبعه على الزناد.

— ارجوك يا عزرا لا تغضب، لاجلي انا.

— انتما قاتلان. اكد الشيخ

— نحن صيادون ايها الشيخ نصيد الحمام. والعصافير الدورية. هب العصفور واقفا وقال:

يا صياد يا خال.
صباعك
عن الزناد.
دنا عصفور
ولا اكفيش عيالك قوت

وجم بول وعيزرا. فجم الشيخ. اطلق عيزرا الرصاص. اخترق الرصاص صدر الشيخ. سال دمه بغزارة.

— قتلت الشيخ يا عزرا، ميا تهرب، كيف نصعد سفح الجبل.

— هيا قبل حلول الظلام خوفا من الاشباح.

— اشباح، عصافير تتكلم، جان، يا الهي. هل تخاف يا عزرا.

— لا ولكن اسمع هدير الدم، عصاه تلاحقني، والسمك يلسع قدمي والعصفور ينقر عيني، انقذني يا بول، الاشباح تطبق علي كفكي كماشة.

— عزرا .. عزرا انا ايضا خائف الاشباح تركبني، الاخضر يلاحقني، اين الجسر والسيارة؟

ابتلع الظلام الجسر والسيارة. وسجل القمر كل ما شاهد بينما الشيخ راح يغط في نوم عميق يحلم بالسمك والحمام واشياء اخرى.

Digitized by Birzeit University Library

هزيمة الشاطر حسن

التطابق والتكامل بين ثلاث من قصصها

بقلم احمد حرب

لو جاء ترتيب القصة الرابعة في مجموعة " هزيمة الشاطر حسن " لاكرم هنية بدل التحة الثالثة " وردتان للزميلة منى " لكانت القصص الثلاث الاولى (هزيمة الشاطر حسن ، القرار ، مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء ما) تشكل " دورة قصصية قصيرة " ، اعني بهذا التعبير — وكما يحدده البروفيسور فروست انفرايم — مجموعة من القصص القصيرة القصيرة مرتبطة مع بعضها بطريقة ما بحيث يحافظ على التوازن بين فردية كل قصة على حدة وبين ضرورة الوحدة الموضوعية للمجموعة ككل . اى ، بمعنى آخر ، يمكن دراسة كل قصة على انفراد وتحليل شخوصها وهدفها وبنيتها الفنية كعمل ادبي قائم بذاته ، في الوقت الذى يمكن فيه ان تدرس كمجموعة وبالتالي تطور هدفاً عاماً ومشتركا . اذا درست كمجموعة يكون هناك خيوط تربط بين القصص وهذه الخيوط تكون اما في الهدف او الشخوص او الشكل الفني او اما انها تترابط عن طريق التوازي والتطابق والتكامل بينها .

فالقصص الثلاث في " هزيمة الشاطر حسن " — هزيمة الشاطر حسن ، القرار ، ومؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء ما — يمكن اعتبارها " دورة قصصية من حيث تطابقها الفني وتكاملها الموضوعي . من حيث التطابق الفني فان الكاتب في هذه القصص يجند اسلوب الحكاية الشعبية ولذلك نجده بالتالي لا يعنى بتطوير شخوصه وتفاعلها ولا يعنى ايضا بتسلسل الاحداث تسلسلا يتبع الخط التقليدى للحبكة القصصية . ما يهم الكاتب مر الكشف عن الموضوع ولو ادى به ذلك الى الوقوع في بعض التناقضات العلمية والمنطقية كما فعل في قصة " مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء ما اذ انه من الناحية العلمية لا يوجد علاقة بين عدم خروج الاطفال من ارحام امهاتهم وغياب آبائهم . وفي طريق الكشف عن الموضوع يسير الكاتب في ثلاث خطوط متوازية : الخط الاول عرض الازمة ، الخط الثاني تبيان ردود الفعل اتجاه الازمة والخط الثالث اتخاذ القرار . في قصة " هزيمة الشاطر حسن " تكمن الازمة في انقطاع المياه . وفي قصة " القرار " في نبوءة العرافات . وفي " مؤتمر فعاليات القرية يصدر نداء ما " في رفض المواليد الخروج من ارحام امهاتهم . ردود الفعل اتجاه الازمات منها الايجابي ومنها السلبي ومنها القاصر ولكنها تتبلور في نهاية كل قصة الى قرار ايجابي وجماعي . في القصة الاولى كان القرار بمواصلة الحفر والبحث عن الماء وفي القصة الثانية كان القرار بتجمع الناس على مفارق الطرق ومداخل المدن والقرى والانطلاق الى الحقول والسهول والجبال ، وفي القصة الثالثة جاء القرار على لسان شباب القرية عندما وجهوا رسالة الى كل الاباء في الخارج يطالبونهم فيها بالعودة .

من وجهة نظر الموضوع تعالج القصص ثلاث جوانب لقضية الوضع الراهن وهذه الجوانب تشكل في مجموعها وجهة النظر الاسرائيلية بشان الاراضي المحتلة والتي تتبنى السيطرة على مصادر المياه . وحول الاستيطان . والتهجير .

في القصة الاولى والتي تحمل عنوان المجموعة ينجح الشاطر حسن بفعل نصيحة الشيخ في سنى القحط والمجاعة وانقطاع مياه الشرب

Digitized by Birzeit University Library

في العثور على ينابيع الارض وبالتالي يجلب الخير والبركة لابناء شعبه . يصبح فيما بعد " معبود الجميع وقبلة الانظار " ويتزوج ست الحسن ويعيش معها سنوات هنيه وفيرة . ولكن يحل بالبلاد موسم جفاف جديد ويعود الشاطر حسن الى البحر باحثا عن الشيخ الذى دله على مصادر المياه في المرة الاولى . لسوء حظه لم يجد الشيخ ويلقى حرس السلطان " القبض عليه ويسحنوه في زنزانة ضيقة ، وعندما يطول غيابه وراء القضبان الفولاذية يستجمع فريق من الشباب ما تركه الجوع والعطش لهم من قوة ويبدأون بالحفر في كل شبر من الارض مسترشدين بما قام به الشاطر حسن في المرة الاولى ، وعن طريق المحاولة الدؤوبة والجهد المتواصل " تتفجر عشرات الينابيع من قلب الارض العطشى ويسرى تيار الفرح في الحقول وفي ارحام النساء وفي عيون الاطفال ووجوه الرجال "ص ٦٣ " .

هذه القصة يمكن ان تدرس على مستويين : المستوى المحلي والمستوى الانساني العام .اذا اعتبرت على المستوى المحلي فانها تشكل الحلقة الاولى في الدورة القصصية الا وهي محاولة السلطان السيطرة على مصادر المياه ومنع السكان من التحرف على اماكنها . " رجال السلطان " في القصة يمكن ان يمثلوا سلطات الاحتلال حيث ان هذه السلطات تعوق وتمنع وتسجن كل من يحاول البحث عن الماء بدليل انهم قبضوا على الشاطر حسن واودعوه في زنزانة ضيقة بعيدا عن زوجته وابنه وشعبه فقط لانه ذهب يبحث عن مصدر للمياه لانقاذ الكائنات العطشى من النبات والحيوانات والبشر . ومن المحتمل ايضا ان يكون " رجال السلطان" قد قتلوا او سجنوا الشيخ الكبير الذى دل الشاطر حسن على مصادر المياه في المرة الاولى .

لا يكتفي الكاتب بتصوير خطورة الوضع الحياتي للسكان الذى ينجم في حالة سيطرة رجال السلطان على ينابيع المياه، بل يبين طريقا لمواجهة ذلك الخطر وهو العمل الجماعي الجاد والمثابر من اجل العثور على الماء الذى يمثل استمرارية الحياة . فعندما طال انتظار الناس للشاطر حسن استجمع فريق من الشباب قواهم وبدأوا يحفرون كل شبر في الارض مستخدمين الفؤوس والقبضان والمعصي والايدى والاظافر . وبالرغم من العمل كان شاقا وطويلا الا انهم واصلوا الحفر حتى "اشرق السر" وتفجرت عشرات الينابيع من قلب الارض العطشى ان موضوع العثور على الماء بالنسبة لسكان على مصادر المياه .وتبدت فرديته عندما ذهب الى البحر ولم يطلب مساعدة شباب القرية ، وعندما بدا الحفر لم يطلب مساعدة احد .ولم يطلب مساعدة احد وكانه يريد ان يحتفظ بالمجد والسمعة لنفسه . بالاضافة الى ان الشاطر حسن بزواجه من ست الحسن " ابنة الاقطاعي . قد انسلخ عن طبقته الاجتماعية وتقوقع في قصر والد زوجته بعيدا عن معاناة شعبه . فعودته للمرة الثانية لم تكن نتيجة شعور حقيقي بمشاكل جماهير البلدة والرغبة في انقاذهم ، بل اراد ان يقوم بعمل بطولي آخر يحافظ من خلاله على مكاسبه الاجتماعية والمادية الجديدة . اذن فسبب فشله ليست بسبب صعوبة الظرف الموضوعي — الا اذا كان الكاتب من دعاة الاستسلام للظرف الموضوعي على غير ماتظن القصة . فالشاطر حسن اقرب الى البطل التراجيدى الكلاسيكي الذى يسقط من القمة نتيجة ضعف داخلي حيث يؤدى سقوطه الى اثارة مشاعر الخوف والشفقة في نفوس الجمهور .

قصة " القرار " تشكل الحلقة الثانية في " الدورة القصصية " اذ انها تعرض لسياسة الاستيطان والاستيلاء على الاراضي في المناطق المحتلة . كما انها تبين ابعاد ومخاطر تلك السياسة وتنتقد ردود الفعل الارتجالية في الاوساط الشعبية والرسمية ازاء تلك السياسة فنبوءة العراف — " انها النهاية آتية .. القرية هو قضية حياة اوموت والعمل على ذلك هو مهمة مصيرية ونضالية تقع على عاتق الجميع . ولكن — كما يلاحظ في القصة — لم يتطور الشعور بالعمل الجماعي الا في نهايةالقصة وبعد فشل الشاطر حسن في المرة الثانية ، وكان الكاتب في هذا الصدد يعرض شكلية من اشكال النضال : احداهما فردى والاخر جماعي . الشاطر حسن يمثل النضال الفردى الذى يعتمد على البطولة الذاتية ولا يخلو من تحقيق مكاسب شخصية . هذا النوع من النضال يمكن ان ينجح في بعض المراحل ولكن نهايته الفشل . فنهاية الشاطر حسن لا تختلف عن نهاية شخوص غسان كنفاني في " رجال في الشمس " وشخوص ريتشارد رايت في " اولاد العم توم " .بالرغم من نجاحه المؤقت . فقد هزم الشاطر حسن لذاجته، وفرديته المصلحية . فهو لم ينتفع كثيرا بنصيحة الشيخ الذى حذره من خطر رجال السلطان" وهكذا عندما عاد الى البحر في المرة الثانية لم ياخذ الشيخ مرة ثانية لان الشيخ كان قد دله في المرةالاولى

Digitized by Birzeit University Library

انها نار جهنم .. انهانار جهنم ستتساقط على كل المدن .. من فوق ذلك الجبل في القدس .. ستنفجر الحمم تحرق الارض والزرع والضرع " — ليست الا خلقا قصصيا يمثل الاستيطان الاسرائيلي فكون ان مصدر البركان هو " من فوق ذلك الجبل في القدس " يمكن ان يكون اشارة الى موقع " الكنيست " مصدر التخطيط والتفكير السياسي للاستيلاء على الارض . ما يؤيد كلامي هذا هو تأكيد نبوءة العراف من قبل مجموعة من الخبراء الجيولوجيين الاسرائيليين الذين ادعوا " أن ما سيحدث ليس شيئا جديدا اوغريبا بل هو مستمر الحدوث منذ وقت طويل ولكن بصورة بسيطة وفي مناطق مهجورة .. وان الذي يحدث هو خروج بعض السوائل من جوف الارض بشكل طبيعي وتمددها على مساحات من الاراضي " . وتضيف المجموعة الإسرائيلية " ان هذه السوائل تساعد على اخصاب التربة ". اليس، في هذا التقرير تطابقا كاملا مع مفهوم تطبيق سياسة الاستيطان الاسرائيلية ؟. اننا نعرف حلّ المعرفة كيف بدأ انشاء المستوطنات .زعموا في البداية إن المستوطنات ستكون في المناطق المهجورة والبعيدة عن المناطق الماهولة بالسكان . وزعموا ان الغرض من انشائها هو احيا تلك المناطق وتطويرها . ولكن ما لبث ان اخذت تلك المستعمرات في التكاثر والتمدد كالمواد البركانية اللزجة التي وسعت دائرة انتشارها لتشمل مختلف المدن والقرى في الاراضي العربية وانفضحت مزاعم الخبراء الاسرائيليين عندما اكدت اللجنة السباعية العربية التي شكلت لمعالجة الوضع في تقريرها ان تلك المواد الهلامية — بعكس مزاعم التقرير الاسرائيلي — ستقضي على الحياة الزراعية والحيوانية والبشرية وان طبيعة هذه المواد سرطانية من حيث انتشارها وتمددها في مختلف المناطق .

لقد استطاع الكاتب من خلال ذلك الخلق القصصي ان يعرض بشكل ناقد ومتهكم لمجمل الظروف الناتجة عن سياسة الاستيطان وردود الفعل نحوها : وطوال الوقت استمرت الدعوات تنطلق من الصحف والهيئات والنقابات والافراد للمبادرة بعمل سريع . ورغم حواجز التفتيش وأوامر المنع من قبل الحكم العسكري فان جسامة الخطر قد جعلت من كل بقعة في الضفة الغربية مقرا لاجتماع ومنتدى للنقاش ، ومع ان هما واحدا كان ينتظم مجمل الافكار والحوار فان هذه النقاشات ظلت اشكالا محدودة وعاجزة عن الفعل والتأثير والوصول لتصور شامل "(ص٣٠) .. " كما ان احدى المجموعات اقترحت نقل الصخرة المشرفة والمسجد الاقصى وكنيسة القيامة وكنيسة المهد والحرم الابراهيمي الى خارج الضفة الغربية " نفس الصفحة) . وتضخم نشاط الصرافين الذين اخذوا ينقلون اموال المواطنين الى عمان . كما ان كثيرامن التجار فضل السفر لعمان او للخليج او لاوروبا انتظارا لما يحدث ، واستغل سائقوا السيارات كادتهم هذه الازمة ليفرضوا اجورا باهظة لنقل المسافرين ".

ولكن على الرغم من هذه المواقف الانانية اللامسؤولة من قبل بعض شرائح مجتمعنا . يبقى الكاتب واثقا من قدرة الجماهير على اتخاذ القرار السليم الا وهو الانزلاق في الارض : " كان الجميع يخرج من البيوت .. شيوخ .. نساء ... شبان .. فتيات .. واطفال ... في الايادي كانت الفؤوس والعصي والحجارة .. وفي العيون نظرة ترقب وثقة .. وكان الذين ينتظرون المواجهة يقفون بثبات واضح ويضربون بجذورهم في اعماق الارض " . (ص ٣٦) .

في القصة الثالث . " مؤتمر نمالیات القرية يصدر نداء هاما " والتي تشكل الحلقة الثالثة والاخيرة في الدورة القصصية يعرض الكاتب لاخطار مشكلة هجرة الآباء عن عوائلهم ويقرنها بمشكلة تفريغ الارض وهجرها والاستيطان فيها هذه المقارنة تأتي اولا على لسان ام محمد — الداية التي تعسرت لديها ثلاث حالات ولادة رفض المواليد فيها الخروج من ارحام امهاتهم . تقول ام محمد " ان الحياة اصبحت لا تطاق . وانه لم يعد هناك خير في الدنيا فالحقول مهجورة وتعلا ها الاشواك والاشجار لا يعتني بها احد فلماذا نستغرب ما حدث للنساء (ص٥٥) وتعلق ام اسماعيل على الحادث فتقول : ان المرأة كالارض بعد رجلها عنها يجعلها تصاب بالبور والعقم ". ويبلغنا النقمة والحزن اوجهما على لسان ام اسماعيل حين تربط بين قضية عسر الولادة و " العقارب " التي تملأ الارض المهجورة من اصحابها وحركة " الاستيطان النشطة " . في طريقها الى البيت تجلس ام اسماعيل لتستريح قليلا في ظل شجرة زيتون حيث تغمرها مشاعر الحزن والحسرة : " زمان كانت هذه الحقول لا تخلو من الرجال والنساء . كانت سنوات خير وبركة " . تطرق برأسها نحو الارض .. تراقب بحذر عقربا يزحف على بعد : " ايام الخير لم تكن هنا عقارب "

Digitized by Birzeit University Library

تلتقط عيناها حركة نشطة في المستوطنة فوق التل ... كانت بضع سيارات شاحنة تنزل المزيد من البيوت الجاهزة لتركيبها هناك .. تحس بغصة . يزداد حزنها .. تنهض بتثاقل .. وتواصل السير . (ص٥٠) .

العقارب في قول ام اسماعيل يمكن ان تكون عقارب حقيقية تعيش الان في الارض البور ، ويمكن انها ترمز الى المستوطنين الذين يزحفون على الارض ويتلفون ما عليها . وكما انتهت القصتان السابقتان بقرارات جماعية وايجابية ، تنتهي القصة الثالثة بقرار جماعي مشابه يتمثل في الموقف المشترك لشباب البلدة عندما يوجهون نداء الى الآباء المغتربين يطلبون منهم العودة الى بلادهم .

من هنا يظهر التوازي والتطابق والتكامل بين القصص الثلاث لدرجة التمكن من فصلها عن باقي قصص المجموعة لتشكل وحدة مستقلة موضوعياً وفنياً .

ذرور الموت

شعر عبد الله صياح

— ١ —

حيث لا يتساوى الظلام المهيمن ،
والاحتمال الربيعيّ / تنفلش التقاطيع
والماء ينضب في البحر ،
اوغل في الجسد المتعب الغضّ ،
والانفعال الردي،
واقفز من نقطة الصفر والانتظار البطيء .

— ٢ —

ولمّا تكوّن جسمك في الليل منفى ،
نبذتْ انعطاف الندى
وانحراف النخيل
ولاحظت ما بين دمعي وجسمك
انّ التراب سيرحل ،
انّ التراب سيبدأ بالانجراف
ولاحظت انّ الخطى تتباعد
انّ الصدى يضمحل ،
وانّ السنين العجاف .
تطول / فلا حدّ للموت
لا حدّ للزمن الهمجيّ ،
امدّ ذراعي اليك لامس خصلات شعرك ،
او اتساقط فوق الحصى والصليب
بطاقات حزن جريء .

— ٣ —

ما بين دمعي وجسمك تمتدّ خارطة الوطن العربيّ
ويمتد نخل الفيافي
وخصب السهول
هنا صلبوك /
والقوك في النهر عامين
ثم استفاقوا فما وجدوك
هنا دفنوك /
وغدّلوك بالليل والزبد الشتويّ
وجوّ الرصاص
اقاموا لذكرى وفاتك حفلا بهيجا
وغنّوا ،
وغنّوا ،
وغنّوا ،
والقوا خطاباتهم فوق قبرك
وضاجع كلّ عشقيته فوق قبرك

— ٤ —

وما بين دمعي وجسمك /
يجثو الفناء* دليلا
ويبطيء سير المراكب
يبطيء سير الخيول ،
يرتد هذا النهّار عليلا
تصير الميادين مقبرة للبنفسج
ناديت : يا جذوة للرفض ،
يعرفك الصخر والنهر
والزعتر الجبليّ .
ويعرفك الوطن العربيّ .

— ٥ —

حيث لا يتساوى الظلام المهيمن ،
والاحتمال الربيعيّ
افتح صدرى بوجه الرماح
فيعشق صدرى الرماح
ويعشق منفاى ،
يعشق سيل الجراح
توءب التقاطيع
ثم تحول المزامير الحان عودة
امدّ ذراعي اليك /
امدّ ذراعي
ذراعي
فتنبت بين الاصابع وردة .

* طولكرم

Digitized by Birzeit University Library

رونالد ريغان السينمائي لعب دور المخبر ضد الفنانين اليساريين

في الاربعينات نشأت لجنة انبثقت عن الكونغرس الاميركي للتحقيق في النشاطات غير الاميركية في الولايات المتحدة .

يومها استدعي الى التحقيق اسماء كبيرة تعيش في اميركا آنذاك . بين الاسماء ايليا قازان، بريخت، ليليان هيلمان، انيشتاين، بول روبسون ايزلر، آرثر ميلرز ومناهضوالحرب في فيتنام .

آنذاك كانت الديمقراطية في اميركا تعاني ازمة مستعصية، والملفت ان التحقيقات كلها كانت تتم باسم الديمقراطية .

رونالد ريغان ، الذي اصبح رئيسا لاميركا، كان من بين الذين اجرى التحقيق معهم، ليس بوصفه معاد للجنة التحقيقات، بل بوصفه حاملا لبعض المعلومات المعاونة لاولئك الفنانين الكبار، محضر التحقيق ننشره هنا، وقد اخذناه من كتاب "المكارثية والمثقفون" الذي صدر عن دار ابن خلدون منذ اشهر"

هذا التحقيق اجرى في ٢٣ تشرين اول ١٩٤٧ اجتمعت اللجنة في الساعة ١٠،٣٠ صباحا برئاسة صاحب الفخامة بارنل توماس(رئيسا) .

الرئيس: نسجل في المحضر ان السادة مستر ماكدويل . ومستر فيل ، ومستر نيكسون ، ومستر توماس حاضرون .. واللجنة الفرعية منعقدة .

المساعدون الحاضرون : مستر روبرت ستريبلينج ، كبير المحققين ، والسادة لويس رسل ، وه.أ. سميث ، وروبرت د. جاستون محققون، ومستر بنجامين ماندل مدير البحث .

ستريبلينج : اين ومتى ولدت . يامستر ريجان ؟

ريغان : في تامبيكو، الينوى، في ٦ فبراير ١٩١١

ستريبلينج : ما هي مهنتك الحالية ؟

ريغان : ممثل سينمائي .

ستريبلينج : كم من الوقت ارتبطت بهذه المهنة ؟

ريغان : منذ يونيو ١٩٣٧ . مع فترة انقطاع قصيرة لمدة ثلاث سنوات ونصف — وفي ذلك الوقت لم تكن تبدو قصيرة جدا .

ستريبلينج : اي فترة تلك ؟

ريغان : كان ذلك خلال الحرب الاخيرة .

ستريبلينج : في اي نوع من القوات المسلحة كنت

ريغان : حسنا ، يا سيدي، كنت لسنوات عديدة في الاحتياطي كضابط في خيالة الولايات المتحدة لكنني وزعت على سلاح الطيران .

ستريبلينج : هذا معتاد في الجيش، اليس كذلك ؟

ريغان : نعم . ياسيدي. واول شيء فعله سلاح الطيران هو ان اقرضني الى سلاح الاشارة .

مكدويل : الم ترتد الرتب ؟

ريغان : ارتديتها لفترة قصيرة .

الرئيس. اظن ان هذا ليس له علاقة بالحقائق التي نبحث عنها . استمر.

ستريبلينج : مستر ريغان . هل انت عضو في اية رابطة ؟

ريغان : نعم ، ياسيدي، رابطة ممثلي السينما .

ستريبلينج : كم من الوقت ظللت عضوا ؟

ريغان : منذ يونيو ١٩٣٧ .

ستريبلينج : هل انت رئيس الرابطة في الوقت الحالي ؟

ريغان : نعم ، يا سيدي .

ستريبلينج : متى انتخبت ؟

ريغان : كان هذا منذ بضعة شهور . وانتخبت لاحل محل مستر(روبرت) مونتجوموري عندما استقال .

ستريبلينج متى تنتهي مدتك ؟

ريغان : الانتخابات تجري في الشهر القادم .

ستريبلينج : هل سبق ان شغلت اي منصب آخر في رابطة ممثلي السينما ؟

ريغان : نعم، يا سيدي. قبل الحرب مباشرة كنت عضوا في مجلس الادارة، وبعد الحرب مباشرة، وقبل انتخابي رئيسا. كنت عضوا في مجلس الادارة .

ستريبلينج : بوصفك عضوا في مجلس الادارة، ورئيسا لرابطة ممثلي السينما، وعضوا نشيطا،

Digitized by Birzeit University Library

هل حدث في اى وقت لان لاحظت او ميزت عدية سواء من الشيوعيين او الفاشيين كانت تحاول ممارسة نفوذ او ضغط على الرابطة ؟

ريغان : حسنا، يا سيدى، لا بد ان شهادتي ستكون مشابهة جدا لشهادة مستر(جورج) مورفي، ومستر(روبرت) منتجوموى. كانت هناك مجموعة صغيرة داخل رابطة سمثلي السينما تعارض باستمرار مجلس الرابطة ،ومسئولي الرابطة. كما يتضح من التصويت في مختلفة. وهذه العصبة الصغيرة المشار اليها يشتبه في انها تتبع بدرجة او اخرى التكتيكات التي ترتبط بالحزب الشيوعي.

ستريبلينج : هل تشير اليهم باعتبارهم تاثير معوق داخل الرابطة ؟

ريجان : يمكن ان اقول انهم في بعض الاحيان حاولوا ان يكونوا تاثيرا معوقا.

ستريبلينج : اليس لديك شخصيا معلومات عما اذا كان اى منهم اعضاء في الحزب الشيوعي.

ستريبلينج : هل تشير اليهم باعتبارهم تاثير معوق داخل الرابطة ؟

ريغان : يمكن ان اقول انهم في بعض الاحيان حاولوا ان يكونوا تاثيرا معوقا.

ستريبلينج : اليس لديهم شخصيا معلومات عما اذا كان اى منهم اعضاء في الحزب الشيوعي ؟

ريغان : لا، يا سيدى، فليس لدى قوة التحقيق. او اى شيء من هذا القبيل ، ولا اعرف.

ستريبلينج : هل بلغك ان اعضاء معينين في الرابطة شيوعيين ؟

ريغان : نعم، يا سيدى، لقد سمعت مناقشات مختلفة ووصف بعضهم بانهم شيوعيون.

ستريبلينج : هل تقول ان هذه العصبة حاولت ان تسيطر على الرابطة ؟

ريغان : حسنا، يا سيدى، بمحاولتهم تغليب وجهات نظرهم الخاصة في مختلف الموضوعات. واظن انك يجب ان تقول ان جانبنا كان يحاول السيطرة، ايضا، لاننا كنا نحارب بنفس القوة لنغلب وجهات نظرنا، واظن انه قد ثبت اننا مصيبون بالارقام— وقد اعطى مستر مورفي الارقام وكانت هذه الارقام دائما هي نفسها تقريبا، متوسط نحو تسعين في المائة او اكثر من التصويت في رابطة ممثلي السينما حول تلك المسائل التي هي الان سياسة الرابطة.

ستريبلينج : مستر ريغان، قيلت شهادات بان منظمات عديدة للجبهة الشيوعية قد انشئت في هوليوود. هل حدث ان اغريت للانضمام الى اى من تلك المنظمات او الى منظمة تعتبرها منظمة للجبهة الشيوعية ؟

ريغان : حسنا، يا سيدى، لقد تلقيت كتابات من منظمة تسمى اللجنة من اجل سياسة ديمقراطية في الشرق الاقصى. ولا اعرف ما اذا كانت شيوعية ام لا. كل ما اعرفه هو انني لم احب آراءهم ونتيجة لذلك لم اشا ان يكون لي شان بهم.

ستريبلينج : هل اغريت بان ترعى لجنة اللاجئين المشتركة المناهضة للفاشية ؟

ريغان : لا، يا سيدى، لم يحدث ابدا ان اغريت لافعل ذلك، لكنني في مناسبة اخرى وجدت نفسي عن طريق التقرير بي راعيا لنشاط اقيم تحت اشراف لجنة اللاجئين المشتركة المناهضة للفاشية ؟

ستريبلينج : هل اعطيت اسمك عن علم لتكون راعيا ؟

ريغان : ليس عن علم. هل استطيع ان اشرح هذه المناسبة ؟

ستريبلينج : نعم يا سيدى.

ريغان : طلبت بالتليفون منذ عدة اسابيع. وكان هناك حملة مالية لجمع النقود لبناء مستشفى اشتدت الحاجة اليه ويسمى مستشفى كل الامة. واعتقد ان هدف البناء يديهي من الاسم حتى انه نال تاييد اغلب الناس في لوس انجلوس. وبالتاكيد تاييد اغلب الاطباء. ومنذ بعض الوقت استدعيت للرد على التليفون. وقدمت لي امراة نفسها بالاسم. ولم اعط اهتماما خاصا للاسم. ولا استطيع ذكرها الان. واخبرتني بنيا اقامة حفل سيغني فيه بول روبسون. وذكرت ان كل نقود التذاكر ستخصص للمستشفى واستاذنت في ان تستخدم اسمي كاحد الذين يعقد الحفل تحت رعايتهم. وترددت للحظة. لانني لا اظن ان آراء مستر روبسون السياسية تتطابق مع آرائي على الاطلاق، ثم فكرت انني كنت غبيا بعض الشيء لانها، كما ظننت. مناسبة يظهر فيها مستر روبسون بوصفه فنانا، وبالتاكيد فان الهدف. وهو جمع النقود ،يقف فوق اى اعتبار سياسي : انها مستشفى بيدءا الجميع وقد سامحت انا نفسي ببعض النقود. وهكذا احسست كما لو انني كنت متزمتا للحظة، وقلت، "بالتاكيد، يمكنك استخدام اسمي". وغادرت المدينة لمدة اسبوعين، وحين عدت. تسلمت قصة صحفية تقول ان هذا الحفل اقيم في قاعة شراين في لوس انجلوس تحت رعاية لجنة اللاجئين المشتركة المناهضة للفاشية وكان المتحدث الرئيسي هواميل لوستيج (لودفيج) وجمع روبرت بورمان نقودا وتم استعراض بقايا

Digitized by Birzeit University Library

فصيلة ابراهام لنكولن على المنصة. ولم اجد في القصة الصحفية، كلمة واحدة عن المستشفى. وطلبت الصحيفة وقلت لهم انني لست معتادا على الكتابة الى الناشرين لكنني اود ان اشرح موقفي. وضحك الرجل وقال: "لا يهمك، وانت ربما كنت الشخص الخمسين الذي حدثنا عن نفس الفكرة، ومن بين هؤلاء الاطباء الشرعيين الذين وردت اسماؤهم بوصفهم ضمن من يعتد الحفل تحت رعايتهم".

ستريبلينج: هل يمكن ان نقول بناء على ملاحظتك ان هذا نمطي بالنسبة لتكتيكات او استراتيجية الشيوعيين. بان يغروا ويستخدموا اسماء الاشخاص البارزين اما لجمع المال او للحصول على التأييد؟

ريغان: ان هذا يتمشى مع تكتيكاتهم. نعم، يا سيدي.

ستريبلينج: هل تعتقد ان ثمة شيء ديمقراطي في هذه التكتيكات؟

ريغان: لا اعتقد يا سيدي.

ستريبلينج: بوصفك رئيس رابطة ممثلي السينما، هل تعرف الاضراب التحكيمي الذي كان مستمرا في هوليوود منذ بعض الوقت؟

ريغان: نعم، يا سيدي.

ستريبلينج: هل حدث ان اجتمعت بأي واحد من مسؤولي العمل بخصوص هذا الاضراب؟

ريغان: سيدي، ان اول مرة حضرت فيها "الشيوعيين" في اي اجتماع يخص هذا الاضراب كانت في اجتماع شيكاغوعم مستر وليام هتشينسون، رئيس اتحاد النجارين، الذي كان مضربا في ذلك الوقت. وطلب ان تقدم رابطة ممثلي السينما شروطا الى مستر (ريتشارد وقال لنا ان نخبر مستر والش بانه، اذا استسلم بناء على هذه الشروط، فانه بدوره سيخرج سوريل هذا والشيوعيين الاخرين من اللعبة ويفسد ما ـ وانا اذكر كلامه بالنص ـ. ويمكن ان اضيف ان مستر والش ومستر سوريل كانا يديران الاضراب لصالح مستر هتشيسون في هوليوود.

ستريبلينج: مستر ريغان، ما هو شعورك تجاه الخطوات التي يجب ان تتخذ لتخليص صناعة السينما من اي نفوذ شيوعي؟

ريغان: حسنا، يا سيدي، ان تسعة وتسعين بالمائة منا واعون جيدا بما يحدث، واظن اننا، في اطار حقوقنا الديمقراطية ودون ان نتخلى مرة واحدة عن الحقوق التي منحتنا اياها الديمقراطية، قد قمنا بعمل طيب جدا في مهنتنالتقليص انشطة هؤلاء الناس. وفوق كل شيء يجب ان نعترف بهم في الوقت الراهن كحزب سياسي. وعلى هذا الاساس فضحنا اكاذيبهم عندما اعترضتنا، وعارضتنا دعايتهم، واستطيع بالتأكيد ان اقرر انه في حالة رابطة ممثلي السينما، قد كنا موفقين بشكل بارز في منعهم من ان يحاولوا، عن طريق تكتيكاتهم المعتادة، الحصول على اغلبية في منظمة بواسطة اقلية جيدة التنظيم. وفي معارضة هؤلاء الناس، فان افضل ما نفعله هو ان ندع الديمقراطية تعمل. ونحن في رابطة ممثلي السينما ندعها تعمل بضمان صوت لكل شخص وبتوصيل المعلومات الى كل شخص بانتظام. واعتقد كما قال جيفرسون، انه اذا عرف كل الشعب الاميركي كل الحقائق فانه لن يرتكب خطأ ابدا. اما مسألة ما اذا كان الحزب يجب ان يحظر قانونا. فهذه مسألة متروكة للحكومة لتقررها. وبوصفي مواطنا، فانني سوف اتردد في ان اشهد حظر اي حزب بالقانون على اساس ايديولوجيته السياسية. فقد قضينا مائة وسبعين عاما في هذا البلد على اساس ان الديمقراطية قوية بما يكفي لتقف وتحارب ضد اي اعتداء على ايديولوجيته.

ورغم هذا، فاذا ثبت ان منظمة ما عميلة لقوة اجنبية. او ليست حزبا سياسيا شرعيا باي طريقة واعتقد ان الحكومة قادرة على اثبات ذلك ـ فالامر يختلف عندئذ. وانا فخور جدا بالصناعة التي اعمل بها، وفخور جدا بالطريقة التي ادرنا بها القتال، ولا اعتقد ان الشيوعيين استطاعوا في اي وقت ان يستخدموا شاشة السينما كمنصة لنشر فلسفتهم او ايديولوجيتهم.

الرئيس: هناك شيء ذكرته يهمني جدا. وهو قول جيفرسون: ولهذا بالضبط اقام مجلس النواب هذه اللجنة. لتعرف الشعب الاميركي بالحقائق، وعندما يعرف الشعب الاميركي الحقائق فان المسألة تصبح ما سوف يصنعه الشعب الاميركي من عمل يريد ان يقوم به: بمعنى، ان يجعل اميركا نقية بقدر ما نستطيع. نود ان نشكرك كثيرا لمجيئك هنا اليوم.

ريغان: سيدي انني احتقر، بل ابغض فلسفتهم، لكنني ابغض اكثر من هذا تكتيكاتهم، التي هي تكتيكات الطابور الخامس. وهي ليست شريفة، ولكنني في نفس الوقت لا اريد ابدا كمواطن ان ارى بلدنا يضطر، سواء خوفا او احتقارا لهذه المجموعة، الى ان نساوم ابدا على اي مبدأ من مبادئنا الديمقراطية بناء على هذا الخوف او الاحتقار. انني لا زلت ارى ان الديمقراطية يمكنها ان تقولم بذلك.

Digitized by Birzeit University Library

"ثمرة حقيقة على دفة البراية"

فؤاد سعود شبارو

استيقظ منذ الصباح الباكر . فوضع قطعة من الخبز وقليلا من الزيتون في كيس صغير ومضى يحدوه امل بان يفوز هذا اليوم بعمل اذ ان جيبه لا تحوى سوى بضع قطع نقدية بينما في قريته البعيدة ثمة اسرة تنتظر .

واعتصرت المرارة احشاءه حينما تذكر الصغير حامدا . .

" حامد آخر العنقود ، هذا سبب غلاوتـه ، وممكن لانه متعلق بي بزيادة .

من يوم ما اتركهم ، يظل يسال متى يجيء ابي ؟ . . . يوم الخميس تقول له امه : ابوك ييجي مسا . فيظل ينتظرني حتى المساء .

واليوم الخميس ، حتما انه ينتظرني ويحلم بهدية اقدمها له " .

خطر له ذلك بينما هو منطلق الى الشارع الرئيسي . وكانت الشمس لما تشرق بعد . وكان قلة من الناس قد خرجوا في هذا الوقت المبكر ، اغلبهم من عمال الميامة والباعة المتجولين . . حتى وصل الى الشارع وقف على الرصيف ينتظر الى ان مرت به سيارة اجرة ، فاستقلها من الوحدات الى البلد . ثم قصد من فورهساحة الجامع ، موزعا ما بين احساس بالامل في الحصول على عمل . واحساس بالقلق ناجم عن خوفه من الفشل في ذلك .

فمنذ ستة ايام وهوياتي الى ساحة الجامع باكرا ، لكنه لم يفز في كل المرات بغير خيبة يجر اذيالها في المساء عائدا الى " الخشة " . كما تعود ان يسمي الغرفة القديمة التي يسكنها بالايجار .

× × ×

. . . . في ساحة الجامع كان عدد من العمال يدورون حول انفسهم ، بادية على وجوههم ملامح الترقب والانتظار القلق . حياهم ، ثم وقف معهم ينتظر . فاعرا بنوع من الراحة بسبب قلة عدد الموجودين في الساحة . . .

. . . اذا جاء متعهد بسرعة ، محتمل افوز قال في نفسه لكن القلق سرعان ما عاوده . . . .

" بعد شويه يزيد العدد . . كل واحد دابر على رزقته . وما اظن اني افوز من بينهم وقتها "

ثم اطلق تنهيدة حزينة من اعماقه وقال في نفسه ايضا : " ايه . . انا كبرت . . سن الخمسين ما هي قليلة . واصحاب العمل للشباب عندهم اولوية الواحد منهم يوقف سيارته . يتطلع في وجوههنا ، ويتحسس عضلتنا بعينيه . اذا خمّن ان همة عامل منا قوية ، اخذه . اما اذا كان العامل مقلبي اكل الدهر من لحمه فساعت ما يرزق الله .

وتذكر ياسي ايضا كيف كان يتباهى بقوة عضله وكيف انه كان يبذر الحبوب ويحرث بمفرده . . ثم يحصد المحصول ، حيث تنقله زوجته أم احمد واولادها الى البيدر . وبعد ذلك يتعاون الجميع في " الدرس " . . " وبالنهاية تنقل المحصول لدكان " ابو محمود " . . وابو محمود : طبعا ، من اول ما تحط القش " على البيـدر وهو ما يفارق وجوهنا . حتى يضمن سداد ديناته . ويا ليتها تنسد ماعليها دينات . كل ما اقول خلاص سديتها ، الاقيها رجعت مثل ما كانت . اى والله ما انا عارف آخرتها .

وبالنتيجة تروح القبعة بهالربعه . ونطلع من المولد بلا حمص . ونلاقي تعبنا صب في جيبة " ابو محمود " .

Digitized by Birzeit University Library

كنت اعرف انها ما هي موفيه . لكن ما باليد حيله ، فالحياة كيف اوفر لقمتها ؟

وعلى اى حال اسمها لقمة مضمونة . يا ليتهـا دامت . لكن الدنيا تعاونه علينا . ومن بعد ما صرت بدل ما اجي لساحة الجامع ما بين نهاية الحراث وبداية الحصيدة . وبدل ما يتنقل عملي ما بين القرية والمدينة ، صرت ارابط بساحة الجامع صيف شتا" .

وافاق من تفكيره حين توقفت سيارة فخمـة تنعكس اشعة الشمس من على طلائها . وكانـت الشمس قد ارتفعت في القسم الشرقي من السماء وحشد العمال قد تضاعف .

وما ان راوا السيارة حتى انطلقوا اليها من كل صوب . ومعهم انطلق هو يحمل كيسه الصغير . واحاطوا برجل متوهل البطن يرتدي بذلة سوداء وربطة عنق عريضة ، نزل من السيارة لتوه .

فراح العمال يصايحون من حوله ويقدم كثيرون منهم تنازلات كي يفوز ون بذلك السيد . واعلن السيد بانه يحتاج الى اربعة عمال فقط . بينما كانت عيناه تتفحصان الاجساد ، المحيطة به . ثم سرعان ما اختار اربعة من بينهم اقوياء وانطلقت السيارة بهم ، تلاحقهما شتائم الحشود المنتشرة في ساحة الجامع .

شعر ابو احمد بخيبة مرة . وتضاءل احساسه بالقلق ، بينما تراجع الاحساس بالامل لديه . ثم انتبه الى الواجهة الامامية من الجامع . فجلس مسندا ظهره الى الجدار . واخرج علبة "الهيثي" من جيبه . لف سيكارة بتمهل . اشعلها وسحب منها نفسا طويلا . وترك الدخان يغادر فمه ببطء .

لقد كان يحاول ان يسلو همومه . لكن امعن ذلك والهم قد اصبح يمكنه اينما ذهب ؟ .. هم الشغل هم الحياة .. هم الاسرة التي تنتظر .. اكيد ام احمد على نار والعيال اكيد ينتظروا .. والصغير حامد يحلم بهديته .

ايه يا دنيا ، تديش انت مايله .. الناس اللي كنت اعمل عندهم دايما الله فاتحها عليهم . عيشتهم نعيم . بيوتهم قصور . وولاكولهم لحمه كل يوم ، والله منعم عليهم بكثرة الحال والسيارات وقلة الخلف . ولما يكون عندهم اولاد ما بيشوفوا غير الهنا وكثرة الهدايا واللعب الحلوة . حتى كلابهم ما ترضى بعيشتنا انا وامثالي .. انا وامثالي مالنا غير الباطون وساحة الجامع . مع هذا يقول بعض الناس ان الانسان يصبح غنيا بعرق جبينه اى والله ما انا مصدق . لو كان صحيحا كلامهم ، كنت انا من اكبر الاغنياء .

ومثلي ابو صقر وابو احمد وابو عيسى وكل عمال الجامع .

ومرة اخرى افاق من تفكيره على سيارة تقف في الساحة . احتشد العمال حول سيد ترجل منها فراح ابو احمد يركض نحوهم . لكن اثنين فقط فازا بعطف السيد .

ـ خيبة . قال بصوت مسموع ، ثم عاد الى مجلسه السابق . اسند ظهره الى الجدار ولف "ميثيه" اخرى . ثم اطلق العنان لتفكيره من جديد .

"الله يلعن الشيطان .. قبل اسبوع كنت اشتغل وما شاء الله علي . وكان لي عنده فترة طويلة وما كنت مقصر معه . من الصبح قبل ما تطلع الشمس حتى تغيب وانا احمل الباطون على كتفي فجاة جاني . وكان يهرش لحيته النجسه لما قال لي :

ـ صحيح انت ما تصلي ؟

قلـت :

ـ ايـوه

قـال :

ـ اذا ما ترجع بكره للشغل .

قلـت :

ـ تحكي جـد يا رجـل ؟

قـال /

ـ بيني وبينـك مـزح ؟

وطبعا ، انا "شميتها" . من خبرتي مع المعلمين فهمت القضية وبالفعل مثل ما فكرت تبين لي انه كان تحت يده عامل اجرته اقل . ومن يومها صرت آجي لساحة الجامع . لكن الله ما هو قابل يسرهـا .

وافاق من تفكيره هذه المرة حينما غشاه جمهور العمال ، يركضون مبتعدين عن الساحة . ومـن خبرته مع مثل هذا الموقف المتكرر يوميا ، فهم الامر بسرعة . فتناول كيسه ومضى يهرول خلف زملائه . تلاحقهم الهراوات ، اذ ان منظر هؤلاء الناس بملابسهم الرثة وباحتشادهم المتوتر ، لا يليق بجمال العاصمة . وربما انه اكثر من ذلك لا يجلب الطمانينة .

ولما كان ابو احمد في اثر الحشد ، هارب فان السياط قد انفردت به وراحت تلسع مؤخرته وكتفيه . فما كان امامه الا ان يستمر في الركض .

وفي البداية قال لنفسه :

ـ اتحملهم لحد ما يتركوني .. لاجل لقمة العيش اتحملهم " .

غير ان السياط بما تعود عليه اصحابها وبما كانت

Digitized by Birzeit University Library

مشبعة به من حقد ظلت تلهب جسمه بينما هو يعول اثر زملاء.

— "لاجل لقمة العيش اتحمل ."

ويركض. تلاحقه السياط مثل كلاب مسعورة. تنهشه وتنهشه..

— "لاجل لقمة العيش اتحمل."

لكن الكلاب المسعورة تظل تنهش ظهره. بينما يتسرب بعض من حقده الى شرايينه.

— "انجاس. يعاملونا مثل الدواب. كل يوم على عالمنوال. اى والله ما هم بشر".

— "ماهم بشر. تؤكد له السياط ذلك بقسوة. وتوقظ لديه حقدا قديما. يعشعش في دمه. يفور الدم. ويحجب المرئيات غيش رمادى. فتصبح الدنيا بحجم خرم الابرة.

— "ماهم بشر" تواصل السياط تزداد لازمتها.

— "آت..ح.." وكان هو ايضا ينوى مواصلة لازمته. لكن الكلمات توقفت في حلقه. اذ لم تعد اللازمة ذات معنى. اصبحت مبهمة، فارغة، يخفيها الغبش الرمادى خلف حدوده. ووجد أبو احمد، نفسه لاول مره يصرخ بصوت عال:

— "لايمتى اتمسك بهالكلمة المفلسة؟.. اتحمل.. عشان ايش اتحمل؟ عشان لقمة سم ادفع ثمنها من دمي؟.. اخس.. الله يلعنها من عيشة."

ثم توقف عن ركضه وبحركة سريعة استدار الى الخلف. و:

— "تفو." بصقة مفاجئة، حملها كل حقده واحتقاره، اندفعت الى وجه حامل السوط الذى يتبعه.

المفاجأة الجمت الاخير عن اى رد فعل سريع، فاستغل ابو احمد ذلك ورمى بجسمه عليه. فتعارك الجسدان. مالا يمينا وشمالا. سقطا الى الارض. راحا يتدحرجان. وظلا هكذا حتى راتهما بقية المجموعة المطاردة للعمال، فهرعت اليهما. ولما تجمعت حولهما. انهضت احد الجسدين عن الارض. وابقت الاخر. ثم سرعان ما راحت الهراوات تتناوب الارتفاع والنزول. وما هي الا دقائق انقضت حتى انقضت المجموعة مخلفة وراءها جسدا ملغبا بملابس رثة. في احدى يديه كيس صغير يحوى قطعة خبز وبعض من حبات الزيتون. بينما كانت يده الاخرى تشكل زاوية قائمة مع جسمه وما زالت قبضتها مضمومة في حالة تشنج، رغم ان خطا احمر كان ينساب مع طولها من تحت الابط ثم ينحدر عن الرصيف الى عرض الشارع وحتى الرصيف الاخر.

كتاب طالعه لينين

بقلم ايفا بروك

الصحفية من جمهورية المانيا الديموقراطية

تشكل رفوف الكتب دلالة على شخصية صاحب المكتبة. ومن الطريف ان مكتبة لينين الشخصية تضم كتاب "حب الطفل" لياتوش كورتشاك هذا المربي الكبير والطبيب والكاتب الذى تم ضمن اطر عام الطفل العالمي التي نظمت بناء على قرار هيئة الامم المتحدة التنويه بقسطه ومساهماته.

كيف وصل هذا الكتاب الى مكتبة لينين؟ وما هي الصلات ما بين النظام التربوى السوفييتي وياتوش كورتشاك الذى كرس عمره للاطفال اليتامى وظل وفيا لهذه المهمة حتى لفظة آخر انفاسه حين عرض نفسه للموت سرية مع نزلاء الميتم الذى كان يشرف عليه فتوفى معهم خنقا في حجرة الغاز بمعسكر الاعتقال تريبلينكا؟

...ترجم كتاب ياتوش كورتشاك الى اللغة الروسية بقلم عقيلة الثورى المعروف البولوني الاصل "فلكس كون". وقد قامت بهذا العمل بغية الترويج على نحو اوسع لافكار هذا الانساني الكبير وبالدرجة الاولى في بلاد كانت آنئذ الوحيدة في العالم حيث كان بالامكان تطبيق افكار كورتشاك باكبر نجاح وهي روسيا السوفييتية ولهذا سرعان ما سلم الكتاب المترجم لخير صديق ونصير للينين عقيلته ناديجدا كروبسكايا التي زاولت في ذلك الوقت قضايا التعليم في بلاد السوفييت.

Digitized by Birzeit University Library

خلال حقبة الحرب الاهلية كان كورتشاك يشتغل بمدينة كييف دار ايتام ضمت البتامى البولونيين وخلال تلك الاعوام العصيبة للغاية تابع كورتشاك باهتمام كبير التجارب في مجال التعليم والتي كانت تجرى في الجمهورية السوفيتية رغم اضطرارها الى محاربة الغزاة المتدخلين. وعقب مرور سنين عديدة كثيرا ما كان يجمع في بلدة بوارشوا مرظفيه في المتيم لكي يقرأ عليهم مؤلفات المربي السوفيتي مكارنكو. ومن المعروف ايضا انه حتى اتخذ الخطوات محاولا التوصل الى تحقيق التعاون الرسمي بين بولونيا والاتحاد السوفييتي في مجال التعليم.

ويكفي القاء نظرة خاطفة على نظام التعليم السوفييتي (استمرارا الى اليوم الحاضر) للاقتناع بانه قد تجسدت فيه خيرة الافكار التربوية الانسانية وتقاليد الماضي، وهي لم تتجمد فحسب بل وتطورت لاحقا على كافة المستويات وفي جميع انحاء هذه البلاد الشاسعة الارجاء والمترامية الاطراف.

ويمكن مثلا ايجاد العديد من المواضيع المتماثلة في نظريات كورتشاك ومكارنكو هذين المربيين الفذين. وان عناوين الفصول من كتاب كورتشاك: "حب الطفل" تشير بحد ذاتها الى المبدأ الاساسي لنظامه التربوي وهذه العناوين هي "حق الاطفال في الاحترام" و"حق الطفل في ان يكون طفلا" و"الضرر الناجم عن عدم العناية والاهتمام وما يتبعه من انعدام الثقة"..

وفي المتيم الواقع في شارع كروخالنايا بمدينة وارشوا والخاضع لاشرافه نظم كورتشاك معيشة الاطفال بتوزيعهم الى "اسر" حسب الاعمار وهذا المبدأ نفسه قد طبق ايضا كما هو معروف من قبل مكارنكو في مستعمرة غوركي للاطفال ان فكرة اسر الاطفال وذلك التاثير المتبادل الذي يمارسونه بين بعضهم البعض في حلقات انشطة واعمال الهواية الفنية وفي فرق التلامذة وهيئات تسيير الاولاد الذاتي وكذلك اشراك جميع المستخدمين في العملية التربوية من المعلمين الى الخراطات والطهاة (ويعتبر كورتشاك ان جميع العاملين في دور الاطفال ومؤسساتهم ملزمون بشعور وايداء الحب والاحترام والثقة ازاء الطفل واتخاذ السلوك التربوي والتصرف المبدع حيال الامر واكتساب المعارف الواسعة وبلوغ المستوى الرفيع من الثقافة والتهذيب) هو ما قدره كثيرا كورتشاك وعمل على التبشير به والدعاية له وترويجه. وقد تقبل هذه المبادئ المربون السوفييتيون من مكارنكو الى سوخوملينسكي والى حد ايامنا الحاضرة اذ تطورها مثلا تلميذة مكارنكو سابقا كاليبالينا وتجلها كاليبالين.

ان سوخوملينسكي الذي طالع كتاب يانوش كورتشاك عقب الحرب العالمية الثانية قد كتب ضمن الديباجة التي قدم بها لكتابة: "الاطفال في قلبي" حيث انعكست نتائج الجهود والبحوث التربوية على مدى ثلاثين عاما من قبل هذا المعلم الربفي ومدير المدرسة ورسالته التربوية كما نص هو بنفسه قائلا: "هذا المربي والكاتب البولوني يانوش كورتشاك بطل وطني للشعب البولوني وهو انسان تحلى بجمال النفس الاخاذ وقوة السجية وقد تفوه بعبارات ساطل اتذكرها ما بقيت حيا. لقد عرفت باسر بطولته بعد وضع الحرب اوزارها راسا.. واصبحت حياته بالنسبة لي قدوة تقتدى واسوة حسنة ومن شاء ان يغدر مربيا حقيقيا يتوجب عليه ان يهب قواده للاطفال افلاذ الاكباد مدركا انه لا ينبغي ان يفرق اليوم ما بين العالم المرسوم على سبورة الصف وذلك الذي يبدأ بعد عبور عتبة المدرسة".

وكل مؤلاء المربين السوفييتين الذي ذكرت اسماءهم آنفا (ويمكن ذكر كثرة آخرين) اسهموا بقسطهم في تطوير الفكر التربوي وممارساته في ظروف النظام الاجتماعي الذي تحركه اكثر المثل العليا انسانية. ومهمتهم هي التطوير الشامل للجيل الفتى في سبيل السلام والعدل والحرية والى هذا سعى ايضا كافة المربية العظام في الماضي من كومينسي الى بيستالوتسي وكورتشاك وتتجسد هذه الافكار نفسها في النظام التربوي للاتحاد السوفييتي.

ان هذه الافكار الانسانية قريبة الى ما طورته الحركة الثورية العظمى التي تجسدت في مؤلفات لينين وكروبسكايا. فليس مستغربا اذن ان نجد على رفوف كتبهما كتابا يتناول الرسالة التربوية التي جاء بها يانوش كورتشاك.

ان افكار كورتشاك قد اصبحت اليوم في الاتحاد السوفييتي وجمهورية المانيا الديمقراطية والبلدان الاشتراكية الاخرى جزءا اساسيا من النظرية التربوية وممارساتها. اما المجتمع فيخصص كل ما يلزم من الاموال والرسائل لتعليم الجيل الجديد. وان الاحترام ازاء الكرامة البشرية والايمان بجمال الحياة وعظمتها (وهو ما كان يحلم به فقط كورتشاك وتلامذته) قد اصبح واقعا في ظل الاشتراكية.

Digitized by Birzeit University Library

كلب الست

أغاني الشيخ إمام

يحكى عن كلب عض فارسًا
مصريًا .. والكلب لأم كلثوم

— ١ —

في الزمالك من سنين
وفي حمى النيل القديم
قصر من عصر اليمين
ملك واحده من الحريم
صيتها اكثر م الادان
بسمعوه المسلمين
والتتر
والتركمان
والهنود والمنبوذين
ست فاقت ع الرجال
في المقام والاحترام
صبت وشهرة وتل مال
يعني في غاية التمام

قصره يعني هي كلمة
ليها كلمة في الحكومة
بس ربك لجل حكمه
قام حرمها م الامومة
والامومة طبع ثابت
جوه حوا من زمان
تعمل ايه الست جابت
فوكس رومي وله ودان
فوكس ده عقبال اولتك
عنده دستةخدامين
يعني مش موجود في عيلتك
شخص زيه يا اسماعين
واسماعين ده يبقى واحد
من الجماعة الغلبانين

— ٢ —

اللي داخوا في المعاهد
والمدارس من سنين
حب يعمل واد فكاكه
ويمشي حبه في الزمالك
والقيامة والفتاحة
يرموا طبعا ع المهالك
عم سمعه من قيامته
حب يعمل فيها فكه
بعد ما الوظ بيجامته
اشترى حته مجلة

قول مشي يقرأ في حكاية
من حكايات الغرام
واندماجه في القرابة
خلّى مشيه مش تمام
على اليمين يحرف بعيد
خطوتين ويروح شمال
لمحه " فوكس " من الحديد
قال ده صيد سهل وحلال
هب نط في كرشه دغرى
جب بيجامته لحد ديلها
اسماعين بدال مايجرى
قال يا رجلي رجلي مالها
يعني شاف الدم سايح
من عاليها ومن واطيها
المجلة مش لاقيها
من عاليها ومن واطيها
ياللي جاى وباللي رايح
المجلة مش لاقيها

حبّه واتلموا الظنايا

Digitized by Birzeit University Library

يخدوك رئيس

انت تسوى في النيابة
تسعية من الغلابة
طب يا ريت يا فوكس كنا
واللا تربطنا القرابة

انت فين والكلب فين
انت فده يا اسماعين؟
طب ده كلب الست يا بني
وانت تطلع ابن مين ؟

بشرى اصحاب الذيول
واللي له اربع رجول
بشرى لسيادنا البهائم
من جمايس او عجول
اللي صاحبه يا جماعة
له اغاني في الاذاعة
راح يدوس فوق الغلابة
والنيابة بالتباعة
هيص يا كلب الست هيص

الهوامش :

١) انده مين : بالسوداني تعني انت مين ٠

-٣-

اللي همه البوابين
والحكاية والرواية
قال لهم ده كلب مين؟
كلب مين ما كلب مينش
سمعه لبخ خبتين
قال له واحد فيهم امشي
اللي جابك انده مين ؟ (١)

قال له ده شارع يا مواشي للجميع
اللي راكب واللي ماشي
كلمه من ده وكلمه من ده
ظاطوا وانقلبت فضيحة
قول نهايته والقصد من ده
اسماعين شرب الطربحة

راحوا قسم الشرطة جمعا
والنيابة كفيله بهم
واترموا في الحجز طبعا
لما يجي الدور عليهم
شاف بلاوي متتحكيش
الهفايا المحبوسين
قال يا عالم يا شويش
يا نيابة يا مسؤولين
خلصوه بعد المناهدة جثه
من جحر الدبابة
هي يمكن ساعة واحده
كانت في قلب النيابة

قاله مالك يا اسماعين
قال له اللبحب مالي
قال له عضك " فوكس " فين

-٤-

قاله سيبني اروح لحالي
انت شوف فوكس يمكن
خذ تسمم غصب عني
الوكيل قال برضه ممكن
والشاويش قعد يغني

هيص يا كلب الست هيص
لك مقامك في البوليس
بكره تتالف وزارة للكلاب

Digitized by Birzeit University Library

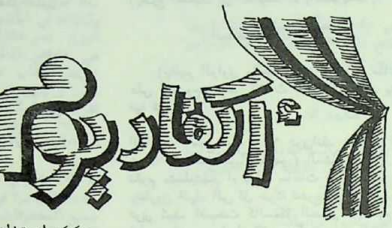

رفاعي سلمان صالحة

الفصل الاخير

المشهد الاخير

الراوي: (يقف في وسط المسرح، يوجه كلامه للجمهور).

تستطيعون ان تقولوا انكم على وشك الوصول الى اعلى التل، تستطيعون ان تحدثوا انفسكم بذلك لكن هذا القول هذا الظن لا يعني ابدا ان تفكوا الاحزمة، او ان تنيخوا ارجلكم (يرفع راسه) حاولوا ان ترفعوا رؤوسكم، اطلقوا ابصاركم في المدى تجدوا ما يسركم او لا يسركم.. لكنكم في غمرة كل هذا لا بد واجدون شيئا ما.

(يحول بصره الى شاب انكب في زاوية المسرح ويحاول ان يتحدث اليه).

وانت يا.. عفوا، فانا لا اعرفك باسمك اعرف فقط انك اصبحت رقما من عداد الارقام المتواصلة والاحصاءات اللامنتهية. (يؤكد) أنك تجلس الان في البيت. ربما، وربما في الفراش او في الهواء الطلق، انهم يطلقون عليك الصفات والرصاص، نعم في آن، الصفات..والرصاص فانت القاتل.. وانت المقتول..واعرف انك بعيد جدا جدا عن الانتحار لانك تحب ان تحيا، تحب أن تكون.

(يتوقف لحظة عن الحديث ثم يستمر).

ماذا تحمل في يديك.. ما تلك الصفحات التي تقلبها الواحدة تلو الاخرى..(يرفع صوته) هل تسمعني؟

الشاب: (يهز راسه ويستمر في مواجهة الكتاب).

الراوي: (للشاب) توقف قليلا عن القراءة، اغمض عينيك، نعم انت بحاجة لان تغمض عينيك، نعم انت في وضع يحتم عليك ذلك، لبرهة من الزمن حاول ان تغمض عينيك لتبصر كنه نفسك.

لا تعر نباح الكلاب اهتماما، الكلاب بحث في الخارج اعني خارج نفسك.

(يدير راسه ويتوجه للجمهور).

أترون؟ انظروا اليه الان، لقد اغمض عينيه. يمكنكم ان تشاهدوا ذلك بام اعينكم (يسيح بنظره الى الشاب).

ساتركك بعض الوقت، فانا على موعد مع صديق لي.. انه صديقك ايضا.

(يتحرك الشاب من مكانه)

الراوي: آه، تريد ان ترافقني، لا باس تستطيع مرافقتي، دون ان تترك مكانك، ابق على حالك واتبعني (يخطو الراوي بعض خطوات ليجلس الى جانب الشاب، ويأخذ مكانه مقابل الجمهور).

الراوي: هل ترون قمة ذلك التل سنصلها قريبا ان شئت ام لم تشأ. بعض السبل قصيرة، او قصيرة جدا وبعضها ملتو، في وسعك ان تختار، نعم لن اكبل يديك بالقيود، لن اختار لك الطريق، انت حر طليق.

(ينظر الى الجمهور) والعاقبة للمتقين.

(يحدث الجمهور).

نعم انتم ايضا ايها ال... تستطيعون انتقاء السبل التي تعجبكم. فانتم مثله احرار طلقاء.

(يتحرك الشاب مكانه وكان الكلام الذي قيل لا يعجبه)

الراوي: آه، تريد ان نفترق اذن، طيب.. كمهدنا هناك في القمة، بعد دقائق معدودات. أوو..كي. رافقتك السلامة.

الشاب: (يلوح بيده).

المشهد الرابع

(يدخل الراوي والشاب من جهتي المسرح، حيث يلتقيان في وسطه، علامات التعب تظهر على الشاب)

الراوي: ها.. تعبت رجلاك من المشي.. او العدو؟ ترتاح بعض الوقت وسنواصل البحث عن القمة.. لقد اضعت الطريق اذن؟

وانا ايضا

لذلك التقينا هنا في قاع هذا الوادي. في ليل شديد الحلكة.. في هذه المرحلة المصيرية من مراحل الرحلة.

Digitized by Birzeit University Library

(يشير بيده) هنالك شجرة على مقربة منا لنذهب ولنضطجع قليلا في ظلها.. لشدة حلكة الليل اراك تتصبب عرقا.. لا بأس.

(يساله)

هل حملت معك شيئا من الخمـــر؟

الشاب: (يهز راسه ايجابا)

الراوي: اذن مات قليلا منه

الشاب: (يعطيه زجاجة الخمر)

الراوي: (يجرع منها جرعة ويعيدها).

هاك، بالهنا.. بالشفا.

ياخذ الشاب جرعة من الزجاجة.. ويتوجه للراوي حيث ينيس ببنت شفة.

الشاب: ما هذا الليل من حولي؟

الراوي: لا.. لا شيء، انك فقط لا تبصر. لقد اغمضت عينيك. وتجرو، ان تسال ما هذا الليل (يقهقه)

(يقهقه الشاب معه.. ويواصلان الشراب).

المشهد الثالـــث

(يجلسان في غرفة استقبال، صالون على وجه التحديد حيث اجتمع هناك لفيف من الشباب والصبايا. الاثاث عادي. او فوق العادي بقليل. الصور التي علقت على الحيطان لا تنم عن ذوق ما، قالت لي هذه العبارة زهور البلاستيك التي انتصبت على الطاولة وفي زاوية الصالون).

الراوي: (للشاب)

تستطيع الان ان تمد يدك، وتتلقف علبة السجائر لقد وصلنا، لا تفتح عينيك، انا ساشعل لك السيجارة.

(يضع لهالسيجارة بين شفتيه.. ويشعلها)

الا ترى، فالسيجارة تحتضن شفتيك إلان، اما تشعر بها؟

الشاب: مممممم

الراوي: الا تشعر بالدخان في كل ذرة من هواء الغرفة انت لم تفقد بعد حاسة الشم، أمل ذلك، (يصمت برهة.. ويلاحظ بعد ذلك ان السيجارة قد انطفات بين شفتي الشاب)

الراوي: لقد اشعلتها لك منذ لحظة.. لقد نسيتها او انك لم تنتبه اليها، عليك ان تنتبه لهذه النار دائما.

لا.. لن اشعلها لك ثانية، يجب ان تمتصها هكذا دون اشعالها.

(يتحرك الشاب في مكانه)

الراوي: ماذا.. ماذا تقول.. لا تقدر؟

اذن كيف تريد ان تصل الى القمة.

فكر قليلا انها مشتعلة.. حاول ان ترى النار تسري بها. وتاكلها.. عندما ستعرف الطريق الى امتصاص هذه الشهوة. فقط فكر فكر فكر

الشاب: (يمتص السيجارة بتمعن ويعلن اعجابه) اوه..

الراوي: ارايـــت؟

لا تفتح عينيـــك.

(يخرج اللفيف من الشبـــاب والصبايـــا)

المشهـــد الثانـــي

(يظهر الراوي والشاب وقد بقيا في مكانهما على المسرح، وبقي الاثاث مثلما كان، لم يتغير فيه شيء)

الراوي: اسمع يا.. الا تريانك تجلس امام مولاء (يلتفت الى الجمهور) المشاهدين.. انك تقوم بتسليتهم او بملء ساعات فراغهم.. وهم ينظرون اليك الى كل حركة تخرج عنك.. نعم الا ترى كيف اصبحت كالسمكة الصغيرة. تسبح في اناء زجاجي.. اجل الا ترى كيف ينظر الجالسون في المقاعد المريحة.. تستطيع ان تتحرك ويجب يجلسون لك بالمرصاد.. ينتظرون منك ان تمد زعانفك او او ترفعها تحية لهم.

انهم يحملقون بك وبسمات الانشراح تعلو شفاههم.. فارفع زعانفك ارفعها، ودعهم يقهقهون فرحا. لقد حاولوا الهرب فلم يتسطيعوا وكذلك قبعوا لمشاهدتك.. او طلبوا مشاهدتك فاحضروك او اشتروك.. ووضعوك امام اعينهم. هكذا تقول انك لا تستطيع؟

نعم، اعرف ذلك.. لكن حاول فقط حاول. هذا ما اريده منك، فاسبح ذهابا وايابا في اناءك هذا (يرفع صوته)

شق الماء واضرب بذنبتك حتى تسلم رذاذا على وجوههم، وسترى كيف سيفرحون بك، وسيدعون اصدقائهم.. اقربائهم لمشاهدتك لروءية تلك السمكة العجيبة التي ترقص في الماء. (يتوقف لحظة عن الحديث.. وينظر الى الجمهور. ثم يحول نظره اليه ثانية)

الراوي: نعم لقد بلغ التطور حدا لا يصدق؟ اصدقك.

وتسالني عن تلك العلبة التي استكانت في زاوية الغرفة.. كل غرفة، تلك هي.....

(يبتسم ولا يجيب) تستطيع ان تبكي او ان تضحك معها.. وعليها ومن اجلها.. او بوسعك ان تضاجعها. (يضحك بصوت عال).

انك لم تفكر بهذه العلبة قط.. نعم وكيف يمكن للسمك ان يفكر ولو مرة واحدة في حياته الغنية، حياته الرطبة انه سيصل الى تلك العلبة السحرية نعم يصعب عليك ان تصدق..

ويصعب علي ايضا..

جئت من أعماق البحر.. من الظلمة السحيقة. الى الغرفة المسجدة.. المليئة بالاراءك المخملية او فوق المخملية.. والاشعاعات الخافتة..

نعم خافتة..

(يرفع صوته) فاضرب.. اضرب بزعانفك الارض نعم هنا انت.. اردت ام لم ترد

(يحاول الشاب ان يتحرك)

الراوي: (يطمئنه) اصمت قليلا.. لقد قلت الكثير.. واسمع بعض حديثي..

Digitized by Birzeit University Library

اصغ .. اجل اصغ الى نفسك فهي تحدثك الان عن الحلم الذى مر عليك .. ولا تنس انك مغمض العينين .

ابق فليلا على هذه الحال . وساعود عما قريب لاسمح لك بفتح تلك المحاجر .. تلك المحاجر (يخرج الراوى من المسرح)

(عتمـــة)

المشهد الاول

(الشاب ما زال جالسا مكانه .. يفترب منه غلام يرتدى ثيابا بان عليها اثر الطريق .. واسفراح عليها التوحال) .

غلام : سيدى .. سيدى

الشاب : (ينتفض مكانه) .. ماذا؟

غلام : تذكرة .. تذكرة .. سيدى

هيا اسرع .. ادخل وخذ لك مكانا .. في الباص بعد لحظات .. هيا .. هيا (صمت)

(يدخل الراوى حيث يقف في طرف المسرح .. تتركز الاضواء عليه فقط) .

الراوى : (يشير الى الشاب) لقد دخل .. لقد اخذ مكانه .. نعم وارتاحت موخرته على مقعد ما .. نعم ارتاحت موخرته مع عدد ليس بقليل من تلك الزعانف السابحة .

ها هو امامكم .. وها هو الباص .. وبعد لحظات سيطلق الباص شخيره .. وسخامه معا .. وسيغيب في المدينة والضوضاء (يتوجه للجمهور) انظروا اليه . كيف يلوح لكم بزعانفه .. اما انا ساعود ادراجي .. ساتركم لوحدكم .. مع هذه الصفحات . اعرف انكم ستحاولون قلبها صفحة صفحة .. اعرف مدى حب الاستطلاع لديكم .. لكن .. حاولوا ان تقلبوا الصفحة آذن ، وقبل ذلك علي ان احذركم .. بانكم لن تجدوا شيئا حاولوا .. الى اللقاء .. (يلوح بيده)

ـ عتمـــة ـ

الفصل الثانـــي

المشهد الثانـــي

(يرتفع الستار عن الشاب فيظهر جالسا في وسط المسرح امام مكتبه .. يمسك كتابا ، علامات القلق بادت عليه ، يحاول ان يقلب صفحات الكتاب ، ينتظر قليلا .. ويفكر)

الشاب : لماذا يريد مني هذا الرجل ، لماذا يريدان يدخلني هكذا دون استئذان .. يا لها من وقاحة (يقلب صفحة الكتاب) ها انا اقلب الصفحة لقد كذب علي ، حاول ان يتلاعب بمشاعرى فلم يفلح وها هو الان .. وصلت به الوقاحة حدا من الـ... يريد ان يمتلني من قلب الصفحة لا بد انه اراد اخفاء شيء ما لا يفصح عنه او لا يجرو على مصارحة نفسه به . وما انا اقلب الصفحات واجد الكثير . انا ما زلت في بداية الطريق .

هذه الكلمات (يشير للكتاب) التي تنتظرني برزت ، قفزت امام عيني بالاسود والابيض ، تركز عيني باطرافها الممتدة والخشنة ، حتى اراني امد يدى وافركهما (يفرك عينيه) حتى لا تدخلها سنة ليكون في مقدورى ان اضع هذه الحروف والنقاط في اماكنها ، اماكنها الطبيعية ، على الورق . نعم هكذا لاضع حدا بيني وبينها .. تلك هي علاقتي الطبيعية بها .. هكذا على الورق (يبعد الكتاب عن عينيه) انظر اليها من بعد حيث لا يكون في استطاعتها ان تركل عيني مهما قفزت ومهما بلغ بها الجنون . (يتوقف قليلا) الان سافرك عيني الان للمرة الاخيرة وسابدا القراءة .. وساقرا بصوت عال .. هكذا (يرفع صوته)

يا سادة يا كرام

حدث ذات مرة في مكان ما .. وزمان ما ان صعدت جميع المخلوقات الى اعلى جبل بغية الوصول الى السماء . بلغت المخلوقات قمة الجبل ووقفت في سماء . لقد

صفرت يداى صفرها امام هذا المعلاق الذى لا نهاية له ، لكنها لن تتوقف عن المحاولة ، ستفكر بطريق ما ، ولا بد انها ستتوصل الى ما تنوى الوصول اليه .

(تسمع طرقات على الباب)

الشاب : ادخل .. تفضل .

(يدخل الشاب)

الشاب : اهلا .. اهلا ، اسمع : لا ادرى كيف اخرج من هذه الدوامة التي وقعت بها ، منذ ان بدأت قراءة هذه الكلمات ، لم اتركها للحظة واحدة .. اللهم الا .. حتى اني في بعض الاحيان كنت آخذها معي .. وبين الاونة والاخرى كنت اتهل منها ولا اعرف كيف اخرج الان ، دخلت بها لاخرج منها وها انا امكث عليها حتى الثمالة .

(ينظر الشاب الجديد اليه نظرة مستغربة)

ـ دعني ارى

(يقرأ) يا سادة .. يا كرام (يلقي بالكتاب) سيبك من هالخرابيش .

ماذا سنفعل هذه الليلة .. لقد مر وقت طويل لم نلتق ، ولا بد انا واجدون شيئا ما

الشاب : طيب .. سآتي معك .. وساجلب هذه الكلمات معي

ـ لا تجن يا مجنون ..

الشاب : لست ادرى ولكني مرغم .. لست صحت مسيرا لا مخيرا .

ـ طيب كيفما شئت

(يخرجان)

الفصل الاول ـ المشهد الثاني :

(شارع من شوارع القدس العربية ، عما يسيران ببطء في الشارع الذى اكتظ بالمارة ـ هكذا يطلقون عليهم ـ واحيانا يقولون العامة .

رجل امتطى حماره ينتظر الضوء الاخضر في الرمزون ـ هكذا يسميه ـ ليقطع الشارع الى طرفه الاخر . على بعد امتار تقف ثلة من الجنود بدجيجة باسلحتها الاوتوماتيكية .

Digitized by Birzeit University Library

بعض السانحات بلباسهن غير المحتشم. او هكذا يطلق عليه العامة، تضحكين.. تقهقهين لمحاولة بعض الشبان مماكستهن – هكذا يقولون – بلغة انكليزية اختلطت بالعربية – يو سبيك انكلش؟ فتجيبهم: نو.. سير.

ويختفي في الشارع بين الوجوه المنكبة على الفترينات.

(هما يقتربان من الرجل الذي ركب ظهر حماره، يحاولان شراء الحمار منه)

هما: السلام على من اتبع الهدى.

هو: (بدهشة) وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته

هما: بكم تبيع هذه الدابة

هو: لست ببائع (مستغربا) هذا كل ما املك وهو معيلي الوحيد. لقد عاشرته زمنا، كبرنا سوية.. فهو يساعدني على التنقل، يحمل ويعطيني ولست بحاجة الى وقود من اجله فالعشب كثير ولدي اولاد عشرة بالقعام والكمال.

هما: الله يبارك.. وماذا يحملون.

هو: يشتغلون عند اليهود.. لقد تركوا مقاعد الدراسة ذهبوا للعمل ليوفروا بعض النقود فهم مقبلون على زواج، وهبني الله ايامهم ليحفظوا ذريتي من بعدي.

هما: (بحثانه) ولكننا سندفع لك الكثير من المال وسيكون بوسك ان تزوجهم جميعا، بسعر هذا الحمار، نعم نعم. انك على حق الاولاد نعمة من عند الله، وسيحفظون لك هذه الذرية، واما نحن فبحاجة الى هذا الحمار. وانت بحاجة الى تلك الذرية، لقد فتشنا عن حمار في بلاد كثيرة وثانية ولكننا لم نجد، ولذلك فنحن مستعدان لدفع كل ما تطلب ثمنا لهذا الحمار.

(ينظران كل الى زميله).

يا الله يا حاج.. بارك.. سامح والمسامح كريم.

هو: المسالة بدها نظر، ولكن علي ان استشير قبل ان اوقع معكما الصفقة.

هما: نعم نعم عليك ان تستشير، نحن نفهم ذلك، اذهب جانبا (يلوحان له بالنقود).

اذهب واستشر، تستطيع ايضا ان تستشير الحمار (يقهقهان.. وينتظران رده).

هو: (يبتعد قليلا، ينزل عن ظهر الحمار يلاطفه قليلا، يحاول ان يحدثه).

حماري العزيز، يا من علمتني الصبر على الضيم رافقتني في صباي، حملت عبئي وحملتني.. اليوم جاء داكما الرجلان. وانت ادرى بوضعي.. رافقتني دهرا. وساعيدك عما قريب ان شاء الله. والايام دول ولن يستغلك داكما الرجلان فهما لا يعرفان لغة الحمير.. ولن يعرفا سافارقك والدموع تفرق محاجري. انا لملتقيان ان شاء الله. فالى لقا في غد مشرق عزيز يا حماري العزيز.

(صمت)

(يدخل الراوي ويقف في طرف المسرح).

الرواي: (متوجها للجمهور) اسمعتم هذا القول الفصل، يمكنكم ان تتركوا الان. وليذهب كل الى حجرته.. يمكنكم ان تعتقدوا ان كل شيء قد انتهى. كيفما تشاؤون.

ومن بنو متابعة مشاهد اخرى فليبق، لن تجدوا الشيء الكثير لقد انتهت المسرحية لقد اكتملت خيوطها، وكل شيء على ما يرام، نعم الا تظنون ذلك، نعم ما نحن هنا، انا انتم نشاهد المسرحيات نحن نشجع المسرح لذا جئنا الى هنا واجتمعنا، اجتمع القوم ايدى سبا.

ها نحن نجلس بهدوء في هذه الاضواء الخافتة نشاهد بعض الصور. نعم لقد باع الرجل حماره. اما نحن فيمكننا ان نناقش. بادب طبعا. موقف هذا الرجل الذي باع حماره.

يمكنكم ان تعترضوا على هذا المشهد او ذاك يمكنكم ان تقولوا كل ما يخطر لكم ببال، ان تشتموا، لكن شيئا واحدا يبقى حقيقة لا يختلف فيها نفران الحمار يموت

(عتمة)

المشهد الاول

(صاحب الحمار يجلس برفقة اولاده وامراته في البيت بعد ان عاد راجلا).

المراة: ماذا جرى للحمار. اراك عدت بدونه.

هو: اسكتي يا حرمة.

المراة: (ممتعضة) ماذا جرى لك. وما هذه العصبية التي تقطر من اخاديد جبينك قل قص علينا قصتك.

(يتدخل احد الاولاد)

ولد: دعيه يرتح اولا ثم اطلبي منه ان يحكي لنا بعد ذلك. اين الشاي الذي تعودت استقباله به.

المراة: الشاي خلص.. والسكر خلص. ولم يبق الا نكد العيش.

(يتدخل الراوي فجاة).

الراوي الشاي خلص.. والسكر خلص.. اذن انتهى كل شيء.. ولكن لم ينته اي شيء

هو: خذي هذه النقود واذهبي لشراء الشاي والسكر والارز ايضا.. وكل ما تحتاجي.. ولا تنسي ببنت شفة او ابن لسان.

المراة: من اين لك النقود.

هو: الله يبعث

المراة: هل بعث الحمار.. بكل هذه النقود.

هو: نعم

المراة: حمار بكل هذه النقود.. من يدفع مبلغا

Digitized by Birzeit University Library

كهذا ثمنا لحمار. (تفير لهجتها) والله وصرت فهلوى يا زلمة. تضحك على الناس وتبيعهم حمارا بكل هذه النقود (تضحك فرحة).

اى شو. هو الحمار جواهر.

يا الله مات وساذهب لشراء الحاجيات وسنفرح هذه الليلة.

(تخرج مسرعة وعلامات البهجة تعلو محيا محيث لم تفلح في محوها).

هو: الآن ذهبت امكم يا اولاد. استطيع ان اتحدث اليكم الان على انفراد.

منذ ان وهبني الله اياكم. وانا افكر كيف ستحفظون لي ذريتي من بعدى. هذا هو همي الوحيد في الحياة.

وضعت امام عيني هذه المسؤولية. وعلى ان انهيها. اذن انظروا كيف كبرتم. فعليكم الآن ان تتزوجوا.

هم: (يرددون كجوقة) ولكن علينا اولا ان نؤمن مستقبلنا.. ومستقبل..

هو: (يقاطعهم) لا. لا. تزوجوا اولا والله يبعث كل شيء في زمانه وفي مكانه هذا انا عندما تزوجت كنت مقحطا.. لا شيء.. وبعد زواجي باسبوع رزقني الله بالحمار.. وكان ماكان..

يا الله شدو حالكوا.. شدوا همتكوا.. والله بدبر. ومعي الان الكثير من النقود (يلوح لهم بالنقود ويقوم راقصا هو وأولاده).

(صمت)

البداية:

يرفع الستار عن الذين شاركوا في المشاهد حيث اخذوا اماكنهم في صف واحد باتجاه الجمهور. بانتظار ما سيفعل هذا الجمهور.

فيتحول الاشخاص الى مشاهدين.. والجمهور هو صاحب الدور الان.

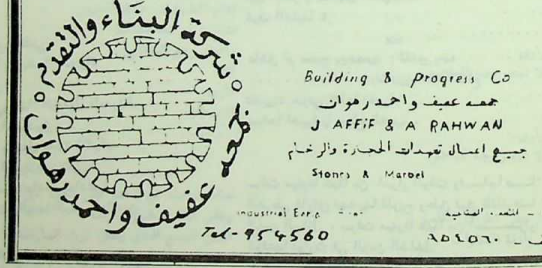

زهرة التعب

تنمو في الهياكل والحجاة والامطار

شعر محمد علي شمس الدين

الى
ميفا وخديجة وآسيا وبلقيس
كل النساء اللتي مأتت غدا
في انتظار زهرة التعب
(م .)

ناوليني حذائي وقلبي
ناوليني العصا وقربة ماء الحياة
ناوليني السلر
انني داخل في فضاء الحقول البعيدة
ليس لي وطن او صديق
والهواء الذي يتسلل تحت الثياب
يخيفني خائفا ان يلامس قلبي
اقول اذا الشمس عادت لعادتها
صباح المرارات يأتيهما البشر الناشرون
صباح التعب .

××

اراليك من اين ؟ من اعين الاخرين ؟
الا ايها الاخرون
سالقي عليكم خطابا قصيرا :
... وبعد التحية
خذوها اذا كان في الارض متسع للرحيل
فلا بد ان نلتقي .

لماذا اواريك مني ؟
جمرة بيننا ؟
ليس للنار ان تخدع الابرياء
شهوة ؟
ولكنني طاهر مثل تفاحة
طاهر مثل أولى الخطايا .
اول العمر يا مستهل الخيانات
كيف التقينا ؟

××

عاشق ام مسيح بوجهين : للنور وجه
.....وللحزن هاد القناع
تخيرت حزني قناعا اخيرا
صباحا اخيرا يا صباح التعب .

سرقت ميفرا شيئا من اسرار الوقت وفاجأها
الشرطي فاوثق نهديها للريح وعلق فوق ظفائرها
الزمن السائل ، سرقت ميفرا شيئا من اسرار
انرقتها تتوارت في الزمن الداخل
ماذا يحدث خلف الاسوار ؟
تدور الساعة ضد الوقت
وتغرق في النوم السنوات
ما زلت اشاهد ابوابا خلف الاسوار
وتقتلني الحسرات .

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
مركز الأبحاث

××

قالت ميترفا اقترب الفجر
واوشك نجم العمر يذوب
فكيف اواريك من النسيان :
اشارت للفجر وقالت : من هذا
لنوافذ قلبي سردابان الى الذكرى
اغمض جفنيك
ساخلع آخر ما يربطني بثياب الانس
واخصف من ورق الصفصاف على نهدي
فنقطة ضوء ما .. بينهما
آه ميترفا
لنوافذ قلبي سلدابان الـــى النسيان اضعـــت
مفاتيحي

واضعت مفاتيح الذكرى
قدماى على الطرقات
... وهذا وجهك ، محمولا ، خلفي ،
اتلفت نحوك اذ تتقدم بي سنوات العمر
واوشك ..
لكني صيحت الحكمة حيي غزائي الشيب
فمن يرجعني صوت التاريخ
ومن يرجع هذا النهر الى المجرى ؟
اتسرب نحوك في الذكرى ام في النسيان ؟
كما يتسرب في نخلة عبد الرحمن دم كالنفـــط
فينعقد الثمر
اتسرب في نخلة عبد الرحمن وارفع كفي واعتذر
علقت على السعف الذهبي قليلا من جسدى
ورفعت الراية حتى تبصر ميترفا ..
.....
.....
.....
قال الراوى :
ميترفا لا تبصر وجه الماضي
.....
....
قال الراوى :
ميترفا لا تبصر وجه الماضي
.....
....
آخ النار على اطراف القلب
وشمسك زائغة النظرات
ميترفا لا تبصر وجه الامس
فهل تبصر وجه الاتي ؟ .
.....
.....
وانا ديك
لماذا ؟

بضراعة عصفور شتوى يتشبث بالمطر النازف
بضراعة لوركا اذ يتخبط في عرس الدم
بضراعة هذا الدورى الخائف
اتقدم نحوك يا ميترفا .
موصولا بحبال الله
(خذى مولودك)
او بالشيطان
(خذى مولودك)
لست مجنيا لكني البدوى ابتردت قدماه علـــى
شطآن المتوسط

لم يخسر الا الخمى
ـ انت الحمى ـ
آخ النار على اطراف القلب وشمسك زائغة النظرات
يحييني من يقتلني
ونسيت بان اسمك زرقاء النظرات
ودفنت عيونك في الصحراء
نسيت قليلا احلامي .

××

تجيئين بعد انتظاري
تجيئين في لحظة فاتته
فلا توقظيني
وقولي لهم مات في الانتظار

سالغي مواعيد هذا البكاء
وانسى باني مريض وانك انثى بعيدة
سلاما
لماذا تخافين مني ؟

××

تنام الخيانات خلف العيون
تنامين في نقطةخائفة
وآتيك رغم انطفائي
انا
قارب
الانتظار .
.....
.....
حاملا راسك في الكف على الكف هواء
وعلى القلب طيور جارحه
اسكن الدمع الذى يسكن موت البارحة
حاملا وجهك في الكف على الوجه طيور ذابحة
قال الراوى :
جمل
مجنون في الصحراء يدور ويرقـــص كالـــدرويـــش
فيضطرب الاعراب
صراخ الوحش قريب وصراخ الانسان غريب كالانسان

Digitized by Birzeit University Library

نظرت بلقيس الى اطراف اصابعها
فتجمع فوقهما ملكان القيصر مطعونا بالانجيل وعبد الرحمن
وحيدا كالقرآن .
يحدق في مرآه الماء
وتحدق فيه كلاب الماء تعال اذن يا عبد الرحمن
وخذ ميتتك
الاولـــى :
ستموت غريقا يا ابتاه
وتحملك الامواج الى بردى
وستطفو جثتك الملكية فوق النهر وسيفك مغـــروز في نحرك
وستصلب في الباب الشرقي فتنهش منك الوحش
ويتغل في وجهك صبيان الحاره
مت حتى آخر موتك يا عبد الرحمن
فصراخ الوحش قريب
وصراخ الانسان غريب كالانسان !
....
....
نظرت بلقيس الى المرآه فعانقها حجر فبكت
قالت :
من يقدفني للموج
فهذا الكون محيط اللذة
والابدان قوارب مهجوره
من يقدفني كالهدهد او كالطابة فوق مياه الاسطوره
....
....
يطا الهدهد ازمانا لا يعرفها
يطا الهدهد ارضا للميعاد ولا يأتي
يطا الهدهد حزنا كالصحراء .
....
نظرت بلقيس فابصرت الفرسان على صهواتهالخيل
وراءهم يتقدم في بردة عبد الرحمن
ويحمل في كفيه قضيب الملك
ارى ملكا يتقدم ام يتاخر ؟
والفرسان دخان تذروه الريح
ام الفرسان هواء للطاعون ؟
تبدد حلمك يا عبد الرحمن .
متكفئا نحو الاسرار اعانق فيك ملايين القتلى
كل قتيل يحمل اسمي
كل وليد مقتول سلفا في صلبك او في التفاح
سيحمل اسمينا
نتبادل ادوارا للخوف وادوارا للعصيان
ونسرق للموتى اثواب عرائسنا

زهر البرية ممنوع ان ينبت في البريه
والشهداء يحبون الزهر البرى
فكيف نرتب هذا الامر
وكيف نواجه موتانا ؟
خذلتك الحيلة ان ترفع اكليلا خشبيا
او ترفع اكليلا للصمت
او تصمت حتى يشربك الغثيان
انت قديم جدا يا عبد الرحمن
ونساؤك عاهرتان وعاهرة
اعرب يا ابتاه :
الحرية : مبتدا لم يبدا
والوحدة : قائمة في الموت يقول الصوفيون
والارض خراب يقتلها من يحييها ...
انموت لترفع رايتها الفوضى ؟
جمل
مجنون
في الصحراء يدور ويرقص كالدرويش فيضطـــرب الاعراب
صراخ الوحش قريب
وصراخ الانسان حزين كالانسان
.....
قال الراوى :
ما زال يحارب ضد هواجسه
ما زال يقاتل حتى لا يقتل
ما زال وحيدا حتى الدمع ولا يدرى .
....
ليس له وطن او صديق
والهواء الذى يتسلل تحت الثياب
ينحني خائفا ان يلامس قلبه
يقول اذا الشمس عادت لعادتها :
صباح المرارات يا ايها البشر النائمون
صباح التعب
ايتها الحجارة والهياكل والازهار .

Digitized by Birzeit University Library

الشيخ عزيز ..

بقلم جميل السلحوت

بعض المتطاولين يحاولون التشكيك بقدسية مقام الشيخ عزيز دستوره منشان خاطره. ويحاولون تبرير تطاولهم بسوءالنا عن نسب صاحب المقام المقدس الذى نقدم له النذور والقرابين واقمنا مسجدا بالقرب من ضريحه يحمل اسمه. والواقع اننا لا نعرف سبب قدسية قبره عن بقية القبور لكننا نحترمه وننسب اليه المعجزات الخارقة فالكل يوءكد ان الغرفة غير المسقوطة التي تحوى جثمانه الطاهر لا تحتمل السقف حيث ان عقده يطير في اليوم الثاني الذى يعقد فيه والكل يوءكد ان عقده قد حصل بحضور فلان وفلان وعندما سنسالهم عن مدى صحة ذلك لا نجد لديهم علما او تفسيرا . ولغاية الان اذا ما قدر لك ان تزور مقام الشيخ عزيز فانك ستجد جدرانه من الداخل مخضبة الحناء ايفاءا لنذر كما تجد قناني الزيت لاضاءة اسراجه او الشموع من اجل انارة مقامه ليلا .

ومقام الشيخ عزيز حارس امين للمزروعات التي تزرع في الحقول المجاورة له فكثيرمن الفقراء الذين كانوا يحاولون سرقة القمح لعمل "فريكة" كانوا يجدونه اشواكا او اقاعي فيولون الادبار هاربين . في حين ان الولد الشقي محمد فقد امد اصابعه لانه تطاول وسرق شمعة من المقام ولم يعد له اصبعه الا بعد ان اشترى والده علبة كاملة من الشمع ووضعها في المقام المقدسي .

اما فاطمة العلي فقصتها معروفة لدى الجميع حيث انها عندما اخرجت احد اطفالها ليلا ليقضي حاجته نظرا لعدم وجود مرحا في داخلي اصطدمت قدمها بحجر فنزل الدم من ابهام رجلها اليمنى فلعنت الدين – استغفر الله العظيم – وقمنا في الصباح واذا بها بكماء لا تتكلم ولا تنام وبقيت على هذه الحال اكثر من شهر ووضعت في مستشفى الامراض العقلية ولم تشف من مرضها الا عندما قام زوجها بتقديم كبش سمين كقربان للشيخ عزيز وعندما حلت عقدة لسانها روت لنا الحادثة . حيث ان فارسا اسمر قد قدم اليها وعقد لسانها عندما لعنت الدين في تلك الليلة المشؤومة .

ولا شك ان ذلك الفارس هو الشيخ عزيز . والشيخ عزيز متسامح ايضا فمثلا لم يغفل شيئا مع الطفل سعد عندما كسر الشاهد الموضوع فوق قبره لان سعد هذا كان يتبع الام منذ طفولته ولم يجد من يبين له قدسية الشيخ عزيز .

هذه المعجزات البسيطة تذكرتها هذا اليوم عندما سألني طفلي الصغير عن اصل الشيخ عزيز فاخذ طفلي الصغير يرتعد خوفا واوى الى حضن جدته وطلب منها ان تقص له حكاية شعبية وكنت استرق السمع فقالت :–

"كان يا مكان في سالف العصر والاوان مجموعة من اللصوص ارادوا سرقة احدى القرى وعندما وصلوا الى مشارف القرية كانت السماء تمطر مطرا غزيرا فالتجاوا الى احد الكهوف طلبا للدفء وكان هذا الكهف يستعمل كمخزن لحطب القرية فاخذ اللصوص يحرقون الحطب ويستدفئون ونفق حمار كان بحوزتهم من شدة البرد فدفنوه في المغاره كي لا توءديهم الرائحة المنبعثة منه .

وبعد ان انقطعت الامطار جاء اهل القريـــة ليأخذوا الحطب فوجدوه محروقا فجمعوا انفسهم وارادوا معاقبة اللصوص غير انهم كانوا اذكياء جدا، فقالوا لاهل القرية بانهم قد احرقوا الحطب رافة بهم لانه يوجد ولي صالح اسمه حمروش مقبور في المغارة واشاروا الى قبر الحمار وان نساء القرية عندما كن يحضرن الحطب كن يبلن في المغارة على قبرالولي فاحترمهم اهل القرية وبنوا ضريحا على المغارة واخذوا يقسمون الايمان بحمروش واستضافوا اللصوص في قريتهم واكرموهم وفي هذه الاثناء كان اللصوص يسرقون ممتلكات القرية ولا احد يشك بهم ، وفي احد الايام اختلف اللصوص على تقسيم احدى السرقات فاقسم احدهم "بحمروش" فقال له الاخر"حمروش هذا دفنته انا واياك" . عندما قال طفلي الصغير لعل الشيخ عزيز مثل "حمروش" فضربته والدتي حتى بكى من الالم .

Digitized by Birzeit University Library

ملف الأدب المغربي

محمد بنيس

- لمحة عن حياة محمد بنيس
- هكذا كلمني الشروح
  قصيدة
- لقاء مع محمد بنيس
  ابو الكرمل محمد
- يوميات قلعة المنفى
  عبد اللطيف اللعبي
- سلاماً، وليشربوا أبحار
  عبد الله راجع
- المؤامرة
  احمد بوزرفو
- العبث والتوهج
  السيدة فتانة بنونة

Digitized by Birzeit University Library

محمد بنيس

- من مواليد ١٩٤٨ بمدينة فاس (المغرب)
- دخل الكتاب في صباه
- التحق بالمدرسة سنة ١٩٥٨
- بدأ ممارسة الشعر سنة ١٩٦٥
- سنة ١٩٦٨ حصل على البكالوريوس
- في السنة ذاتها سافر الى اسبانيا وفرنسا
- التحق بكلية الاداب بفاس (شعبة اللغة العربية وآدابها)
- سنة ١٩٦٩ اصدر ديوانه الاول "ما قبل الكلام"
- منذ هذه السنة وهو يشارك في اللقاءات والندوات الشعرية على الصعيد الوطني
- تخرج في كلية الاداب سنة ١٩٧٢
- في السنة ذاتها اصدر ديوانه الثاني "شيء عن الاضطهاد والفرح"
- عين مدرسا للادب العربي بثانوية مدينة المحمدية
- سنة ١٩٧٣ انتخب عضوا في المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب
- في السنة ذاتها ترجمت بعض قصائده الى الفرنسية والسكندنافية
- سنة ١٩٧٤ اصدر ديوانه الثالث "وجه متوهج عن امتداد الزمن"
- اصدر في السنة ذاتها مجلة "الثقافة الجديدة" صحبه القصاص مصطفى المسناوي وعبد القادر الشاوي، وقد وصلت الآن الى العدد (١٨).
- ترجم قصيدة ـ ديوان عبداللطيف اللعبي "ازهرت شجرة الحديد"، ونشر في كل من "مواقف" و "الشرارة" و "الكلمة"
- تجدد انتخابه كعضو في المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب سنة ١٩٧٦
- شارك في المؤتمر العاشر لاتحاد الادباء والكتاب العرب في ليبيا سنة ١٩٧٧
- شارك في مهرجان المربد الثالث ببغداد سنة ١٩٧٨
- حصل على دبلوم الدراسات العليا (السلك الثالث) حول دراسته "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ـ مقاربة بنيوية تكوينية" من كلية الاداب ـ الرباط سنة ١٩٧٨
- ساهم في العدد الخاص الذي اصدرته مجلة "الاداب" عن الادب المغربي
- ساهم في العدد الخاص الذي اصدرته مجلة اوروبا الفرنسية عن الادب المغربي بدراسة مطولة، وترجمة اغلب مقاطع ديوانه الثالث
- صدر كتابه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ـ مقاربة بنيوية تكوينية" عن دار العودة ببيروت سنة ١٩٧٩
- زار بيروت في الفترة ذاتها
- اصدر ديوانه الرابع "في اتجاه صوتك العمودي" بالخط المغربي سنة ١٩٧٩
- في السنة ذاتها تجدد انتخابه في المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب واسندت له مهمة نائب رئيس الاتحاد
- ترجمة كتاب الدكتور عبد الكبير الخطيبي "الاسم العربي الجريح" وصدور الكتاب عن دار العودة ببيروت سنة ١٩٨٠
- يهتم بالنقد التشكيلي
- نشر في مجلات متعددة : العلم الثقافي (المغرب)، المحرر الثقافي (المغرب)، آفاق (المغرب)، انوال (المغرب)، الف (تونس)، الهدف (تونس)، مواقف (لبنان)، الاداب (لبنان)، الاقلام (العراق)، طريق الشعب (العراق)، السفير (لبنان).
- يشتغل الآن استاذا مساعدا بكلية الاداب بالرباط.

هكذا كلمني الشوق
(موسم الحال)
قصيدة للشاعر محمد بنيس ١

صباح الخير يا عنفي المدون بين حاضره على
قربي وبين التيل هذا البيت من قصب ومن
فيضان ورد عروسة ولك الصباح معي بقايا موعد
حضرته حاشية الدخان وصيحة اليرموك انت
شريك فصل الحلم فاعتصموا ترجل ايها العنف
المتاخم للغبار مم الذى امدى بومض جناحها

Digitized by Birzeit University Library

كنا اتفقنا عاد ثالثنا صديقا قال كيف نقيم من بين انحراج الصوت وابعدنا صباح الخير جانس جسرنا هدمت ما غويت به لفتي وعن لنا انتظار خارج الضحك المباح لعلك نخلة فهمت صباحي انني امسكت عنفي وانتهيت اليك يا قوسا من الحمى التي اندفعت الى حلقي تجمده وتعلن ان خامسنا دليل جالسته طريقه زرقاء رسم محيطها الموّال والالق الشريد فضحت خوف كتابة عطّلت سراديها بعصف ذابل هاجمت انت الان بين يدىّ امتحف او ارافق رجة ترتاح في متك البلاغة وانكسار المخزن اللغوى يا عنفك الميمون كم صوتا تمادى في ارتفاع نخاعي الشوكي نحو مسالك الطلح المرشح للخروج ولهجة الخوف انتصبت صاحبا عنفي رفيقك انّ سادسنا توهج في بنود الحكم حاصر صورة الماء فون سايعنا تلفظ بالدماء رس رداء النوم بين جفونه بالاهي كأعني وكان العنف ما وشّى به اهلي .

٢

لك العزة ايتها الارض وانت تطوفين على صدرى بوشاح دم طالت مجرته بين بني اسد ومداخل باب المحروق لك العزّة لا تتكاتم والناس اقتربوا حتى صادفتك وجها حنّ الي ملاما مرتخيها يمكن لتزرق أن يسمعه من منخفضات الحشو وقد اقتسمت بحد الماء تعالي ايتها المجنونة اني صادقت النارنج وقلت له حمّل صوتي بالعزة ان النخلة تتبع سارية هامت زمنا حتى وجدت باب المحروق يقول لها دمهم يا سيدتي ضجّت حفرته فتذكر لوحا خاتمة بجوار البرق لك العزة نارنجا تلقاني لفحته بين الثقب المهروقة من ينسى كلماتك لما الماء اتاها فاغتسلت بالنار غشيت الحرقة في سقف هياءه الماقون بانقاض هلال مهترىء ايتها العزة طوفي اكتملت اعضائي ذاكرة لم تهملها اخبار جالسها راس قطوه على اعشاب سبو .

٣

صيحة عبرت الى من النخيل ومن ظلال سبو تداهم خيلهم هل خفّت الاسماء بعد طوافها بين الخرافة والجهات المحروقات لتخبر انني صاحبت صوتها محدقة على الاسوار والقرمود والشباك جاءت لفحة تتكسر الاعباء فوق بريقها الوردى لم يرحل عن الكف التحام الجمر بالشفتين ذاكرة تبادرني وذاكرة ترمّم ساقي المخروم من تعب الفصول يكاد هذا الصلب يهتف بالعشيرة صيحة وصلت من الاحداق للاحداق واحدة من السوسان والحبق المطل على ارتفاع السطح كيف تسللت حتى نزلت بحرشها اسعى واشرب من مياه سبو احلّ به احتباس الصوت يا صوتي ويا صوتي يجيب القادمون من القرار ومن غموض البعد فابتهجي لنا حلم يدمر خيلهم وقلاعهم انت الحريق الازرق ايتهجي دم قامت نبوته واقسم ان يجاهر باشتعال العين والخلخال والوشم الفريد بمعصم قطعوه ثم رموه في بئر لتلك سالت عابرة على شط الخليج تعود لي الامواج باستقبال حضرتها وتعبث بالمسافة هاهم الاحباب يقتربون وجهك مربك ويداك تنتشران من درب الى درب وتشتبكان في قوس له الزيتون والرمان هل تسمو بك الذكرى سبو يا معدن الاسماء تغسل عارض الاخبار حين يشاء باب السجن ان يعلو فصيحتهم تزاول عنفنا بالحفر لا تكتشف هذا المساء سمعتهم برقا يرابط بين انساغ النشيد ودبدبات الصحو يهتك ساعة الاقفال يا صوتي ويا صوتي تبادرني حنينا صافيا انساق صيحتهم يراني الماء لونا موحشا يصغي وينشغل .

٤

كان لي القرار يقول هذا الشوق حين لمحته يدنو وينفخ في ساق اللوح يفرش لي الحصير يصوغ كفي من رنين الحرف كان الحرب اين طفولتي اختبأت وكيف اقصّ عن غسق يصاحبني الى باب دخلت المسجد الكتّاب عند الصحن كان الضوء منحدرا وجلبابي يلف الركبتين لمحته يختار لي قصبا يقول اكتب كتبت الجرح ثم مشيت لم ادكر حنين اصابعي والشهوة الاخرى على شفتي ساذكر سيد الكلمات يقرنني هواء غامضا يا سيّد الكلمات لا تغضب نسيت اصابعي بين الذهول مربّع الزليج رائحة تسمّى الياسمين لك القرار طفولتي انتسبت لمحنتها وهذا عنفي انهرقت على السروال حضرته كتبتك في انفراس الشوق والحمّى انا المقصّ من عتبات املك ايها الشوق القريب .

٥

كيف انصرفت اعشاب سبو لغوايتها

Digitized by Birzeit University Library

وتعالت بين اشارات الشفتين ؟
كيف الورق الابيض يهدى بمسالكها
ويفاجي، احوال الهرمين ؟
كيف الازرق يجفو وبنات القدس حللن بصوتي
ستلمات اعمدة الجرح العربي اتين بآيات
الهديان تصفحن الجسد المنسي روين عروقي
بالحنا، غناء العرس تسابقن الى ساقي الممدودة
يفرشن الازرق يحملن الى كتفي الالواح قرأت
امتاجت حتى قلت فضائي ثم الوشم اتى ونشيدك
قابل عينا رافق حالات لا يعرفها الا سرّي.

٦

ما أنا اعطي لكل خطوة صورة صديق ولكل منطوق
حديثا عن نخلة او زهرة تحضر الى مقام العين
هذا الصباح انتبهت من هنا بدات صفحات الكون
تنفتح واسرار الصمت تنغلق او لعلها وشوشة حزن
دافي، لم يسترح بعد
اعلـــم
لم تبق الاّ
لحظة ويسالني النهار عن انكساري لم اتململ
والقادمون من البعاد يطرقون الباب لم نمت بعد
اعلـــم
تلك بقايا بيوت
اندلسية تظل عليّ حداد في الممر الاخر ديدبات
انّ هذا سريري لم استسلم ايها الشرق الصديق.

لقاء مع محمد بنيس

اجرى المقابلة ابو الكرمل محمد

× باعتبارك من شعراء السبعينات ، كيف بدأت تجربتك الشعرية ، وهل يمكنك ان تتحول الى ناقد لتطورك الشعرى – على الاقل انطباعيا – من ديوانك الاول حتى مجموعتك الاخيرة "باتجاه صوتك العمودى" ؟

– يتفرع هذا السؤال الى شقين : التجربة الشعرية ، مراجعة هذه التجربة ، عندما يتعلق الامر بالحديث عن التجربة اوضح منذ البدء ان ما انجزته بعيد عن ان يشكل تجربة ، انه ارادة الدخول في ممارسة تجربة . تأكد ان ليس هذا الكلام تواضعا ، انه خارج على اخلاقية الكبرياء والتواضع . لان التجربة ، باعتقادى ، تمتلك سلطة التاسيس ، ولا اظن ان ما كتبته متوفر على هذه السلطة ، بمعنى انه لا يستطيع ان يمارس بدايته على الاخرين ما دام يفتقدها . وباختصار، ما تسميه تجربةوما افضّل نعته بارادة ممارسة هذه التجربة ، ارتبطت بحداثة سني . لم اتخيل في صباى اني سأكتب شعرا، فبالاحرى ان اكون شاعرا ، كنت في شغوفا بالموسيقى والرسم، وفي الوقت نفسه طموحا في الدروس العلمية .

كانت الموسيقى الصامتة قريبة الى نفسي لاني اتعامل معها بكل حرية ، في غيبة الكلمات التي يمكن ان تولم ضمن مناخ فكرة معينة . صحيح اني كنت اعيش مع الموسيقى ارتعاشات غامضة ، كنت اتخيلها تمنحني حرية في عيش وممارسة المسموح به والممنوع معا ، ممارسة داخلية لا يعرف سرها غيرى ، اما الرسم فكانت اشكال الجير على الحيطان ، والسحاب وهو يجدد تشكلاته الشبابيك الحديدية ، والوان اللباس،

Digitized by Birzeit University Library

نموذج من شعر محمد بنيس بالخط المغربي

أضحت هذي الطرقات

تلك من تفسير حبري القلق
سوف لها شعراً في كل زنبق وحادث
البحر أوتي جهة الريح بادئة الحضور
بر الهلال يسوق الكتاب ويشتد
حلون بها صافية يا فلك العنبر
سمعت أصابعهم تتحدى الصمت

من تفسير الملح
تأويل تلويح الموتى الأحباء
وأجلب العنبر من أجاب العشق
صعدت سراً
خرجت تامراً سلكت
صعدت كلماتي وجمعاً منثوراً تتعالى
الى نوابي
خرجت حلماً صعدت
علماً
أقاماً مع العتمة والموال

وما وراء المشتعلة

أضحت هذي الطرقات

على الطرقات
كل الطرقات

ف
الميم
قة العشق
ربيع براعم
الغرهوم
هل حقا
هل قتلوك
وكذلك كل العام
كل العمر
قف
هل نعرفه
قف أنت العام

Digitized by Birzeit University Library

مطمئنة . كانت الكتابة تذكرا ونسيانا وحلما ثم تدميرا وانتقاما . كل هذاجعلني افتح على المعارف المتعددة والتجارب الشعرية والابداعية المتداخلة المتكاملة ، ولم انس الرسم والموسيقى لحظة ، فكانت قصائدي تتآلف فيما بينها.

رفضتني الصحافة ، فأصدرت ديواني الاول ثم اصبح النشر على حسابي تقليدا ، ولست في هذا استثنائا بالمغرب تجرأت سنة ١٩٧٠ وواصلت ادونيس ، فنشر لي مقدمة .

اذا تأملنا في تطور هذه الارادة منذ ١٩٦٥ سنجد انها مترابطة عضويا بقلق حاد . هذا ما يميز ارادتي في الكتابة . على ان هذا القلق لم يكن برانيا بل كان واصلا بين تجربة وجودية (لا بمعنى سارتر) باهتة وبين الواقع الاجتماعي والتاريخي ، وطنيا وعربيا وانسانيا قلق يصوغ، بشكل غير مباشر ، تمزق ذات فردية تسعى للتخلص من فرديتها بالنص والواقع معا. ما ابسط هذا الحلم . ما اقسى هذا الحلم . ان هذه الفترة ، والنتاج المتراكم انناءها كان اندفاعا واعيا لربط الذاتي بالموضوعي ، الخاص بالعام ، المحلي بالقومي والانساني . ورغم السلبيات التي اراها جلية امامي الان يبدو لي ان المهم ليس هو ما حققت ، بل بالاحرى ما ارغب في تحقيقه . على ان هناك مؤشرات من الضرورى التنصيص عليها ، وتتلخص في كون الانتقال بين ما يمكن تسميته بالمراحل الشعرية اعتمد اساسا على مسالة اللغة والمجتمع ، مسالة عنيفة وقاسيةفي احيان كثيرة ، تهدف الى خلخلة مواقع الاجناس الادبية داخل النص ، والانتقال من الكلام الى الكتابة ، وتحطيم الفواصل بين المشرق والمغرب ، منصتا للاجداد المعلقة ، واتساع ثقوب الراس والصدر، وهجرة الاصوات البعيدة ، وقرارنا الجماعي بالمواجهة.

■ القارئ لشعرك يشعر انك تهتم ببناء القصيدة الحديثة ، كما انك تقترب من الجماهيرية ، اى ان قصائدك ليست مغلقة.

— انني بالفعل اهتم ببناء القصيدة ، وربما كانت الاشارات السابقة ترمي الى التوكيد على ان النص الشعري يكتسب خصوصية وفاعليته من كل هذا كان يثيرني ، احس في صمته ضجيجا يفوق ضجيج الاشياء المتحركة . كان جسدي يدخل في مناخات غريبة ، هادئة ، محملة بعنف لا مرئي،الرسم والموسيقى لم يكن بامكاني ممارستها ، كنت في خارجة الى الكثير من الادوات التي لا يتفور عليها اى طفل في حيها الشعبي ، ولم اسع حتما لاقتنائها.كانت القص موزعة بين منازل الحي . كنت واصدقائي نقراها . قبلها كنت احفظ القرآن في الكتّاب ، اتذكر بعضه ، ولا اتعب نفسي في تحصيل البعض الاخر . كنت ارى الكلمة غريبة عني ، لا افهمها ولا اطمح الى فهمها، كانتمعتمي معها بسيطة .

في بداية مرحلتي الاعدادية التقيت باصدقاء في الصف ينشدون الشعر وينظمونه ويتعشقونه ، شيئا فشيئا انصت لهم ادخل في حضرة الدهشة ، كيف نصنع من الحروف كلمات، ومن الكلمات جملا ، ومنها بيتا وقصيدة ؟ كيف يتالف هذا الايقاع المسافر معاني ودلالات ؟ لماذا يفجر الصمت الذى بدخيلتي ؟ كيف يقول ما يريد بالطريقة التي يريدها؟ كيف ينشد حريته؟ اسئلة وقراءات اولية . كان المتنبي وابو القاسم الشابي حاضرين بيننا ولم افكر في الكتابة .

في السنة الثالثة من الاعدادي صغني ناظر الثانوية ، وعلى اثر هذه الصفعة اخذت القلم وكتبت . كان لي صديق هو الشاعر محمد الخمار . فجاني مرة وانا اكتب ، قرأ وقال لي اكتب . كان ذلك تحولا رئيسيا في حياتي . في السنة ذاتها قررت ان اقرأ واكتب ، قررت ايضا ربط وجودى بالكتابة . وقد اخذت سمة المواجهة . هكذا اطلعت على السياب ، الصعاليك ، الخوارج ، المتنبي ، ابو نواس من من الشعراء العرب القدماء . رونسار، فيكتور هيجو ، بودلير رامبو من الشعراء الفرنسيين. صفعة هذا الناظر كانت تكثيفا لوقائع عديدة عشتها في طفولتي . بعد موت امي وانا بين الاهمال والشتم والامانة والقدح والمتاه. كثيرا ما مددوني بالطرد من البيت ، من المدرسة ، جدتي وحدها كانت تحميني ، صمت ما مدوا لا يشبه الهدوء، اصرخ ابتسم . ولا تراجع.

كنت ، وانا اواجه صمتي ، اراقب الورقة البيضاء ، استحضر دمي ، به اكتب بكائية . تأملا نشوة ،مطاردات . غنيت للماء والبعد والحنين ونجوم متخفية في عيوني . لم يكن الطريق سهلا ولا الرؤيا واضحة ، ولا اللغة طيعة ، ولا النفس خلال الفعل والمعاناة. ولا اظن الشعر العربي المعاصر كان بامكانه الصمود امام التقليد ،وفتح احتمالات للشعر العربي دونما اهتمام قد يصل الى حد النسك ببناء القصيدة . لقد تحدثت عن القلق الذى يربط بين مراحل دواويني ، من

Digitized by Birzeit University Library

انمكن . من المفاجيء والمعجب ، بمعنى لم ترفض الانصياع للجاهز كما توارثناه . ان الواقع والحساسية والرؤية تبدلت كلها، فكيف نطمئن ولا نهتم ببناء القصيدة ، خاصة اذا رأينا الى الشعر والابداع عامة على انه رؤية غير محايدة للعالم ؟

ان القصيدة بالنسبة لي ، تجعل من المغامر، والاساس ليس ضمان النجاح الاني والفوري للقصيدة ، بل الفعل والمعاناة كاستمرار في مثك الجاهز واعادة تركيب العالم. وليس هذا ممكنا ولا بسيطا دوما ، ما دام المبدع المتقدم في العالم العربي قد اختار الا نحيا لتحرر الشعب . ولا اخفي عنك انني احيا تمزقا بين داخل النص وخارجه ، بين النص وقارئه ، ومن ثم كان بناء القصيدة امتحاما بانتفاح القصيدة ، على ان هذا الانتفاح يظل نسبيا ، وخاضعا بالضرورة لمراحل .

■ " في اتجاه صوتك العمودي "، ديوانك الاخير . أو ديوان " الشرق " كما اسميه، لماذا لجأت الى الخط العربي في تخطيط قصائدك (اعني طباعتها) ، فحتى المثقفون لا يستطيعون فهم الخطوط رغم جماليتها الرائعة ، اي انني كقارئ سابذل جهودا اضافية لقراءة النص ، ثم فهمه ثم الاستمتاع ، لماذا هذا التعقيد اذا كنت تطمح ان يدرك عدد كبير من الناس اضافة للمثقفين . هل هي محاولة لدمج الخط مع فن الشعر ، ام ماذا ؟

— هنا تثير مشكلا اساسيا ، هو الالتجاء الى الخط . ارجو الا يفهم هذا الالتجاء على انه تعتيم للنص ، لان الخط ، مثل الايقاع ، مثله القافية . لي حلية تنضاف الى الكلام ، وانما هو عنصر مركب للنص يستهدف ايقاظ العين على تاريخها، اعادة النظر في مفهوم النص وقوانين بلاغته التي تحقق ابداعية النص وتفصله عن محيط الكلام اليومي الذي هو كلام الاستهلاك . انا متفق في ان التخطيط يربك القراءة الاولية. والمسالة في نهاية التحليل ترجع الى اعادة طرح ما عرف به الشعر الحديث من غموض . ولا اريد هنا ان اطيل الكلام. ما كان غامضا قبل عشرين سنة اصبح الان ميسور القراءة في كل مكان تقريبا ، الا ان ما قادني ، من جهة اخرى ، الى اعتماد الخط هو نتيجة اولية لتحطيمي لما يسمى بالبيت الشعري (وهو ما عرف فيما بعد في المشرق بالقصيدة المدورة) الذي ادى حتما الى مزج الاجناس الادبية ببعضها ، ثم نتيجة تاملي في علاقة الشعر العربي الحديث بالغرب، وفي الموروث الثقافي العربي . تاكد من اني لا ادّعي شيئا ، فقط لم تدني الوضوح مع نفسي. لماذا أصبح بعض الشعراء في المشرق (والمغرب في المرحلة التالية) يكثرون من الاسهم ، وعلامات الترقيم ، وفتح الاقواس واغلاقها ، وبعض الاشكال الهندسية ؟ هذه تجربة اوروبية محض ، اذن ، لم لا نعود الى الخط العربي " المغربي والمشرقي " لاستنباط قوانين من داخل اللغة العربية لا من خارجها ما دام تدمير التقليد مستحيل التحقق في حالة الغاء مسالة موروثنا الثقافي ، لا على مستوى المعجم ، وما يعرف بالصورة والايقاع ، ولكن على مستوى تركيب المكان ايضا؟ هذا تساؤل يستعبد بي كثيرا ان الشعر مصنوع من كلمات ، وكلمات فقط ، غير ان هذه الكلمات تخطف دلالتها المباغتة داخل النسق اللغوي ، وليست اللغة زمانا (صوتا) فقط، بل مكان (خط) ايضا . بل ان الصوت ، هذا الوحي الرمزي ، تمجيد للكلام ، للخطابة ، والخط استقدام للكتابة ، لا كما يفهمها نزار قباني مثلا . ما كان الشعر ولن يكون تابعا للخارج ، بل هو اعادة تركيب له بصيغة ابداعية تستنفر وعينا ولا وعينا ، تحاور الموتى والاحياء، السماء والارض ، الماضي والحاضر والمستقبل . لقد انتهى عهد فهم الشعر، وانفصلت الاشياء عن الكلمات، ولا سبيل لانكار ان النص ايحاء قبل كل شيء . ومن ثم فان الكتابة مطالبة بخلق قارئها ، كما هي مطالبة بخلق ممارستها الدالة .

■ هل يمكن ان تقدم لنا صورة او خارطة للشعر المغربي الحديث ، باعتبارك صاحب الكتاب الهام " ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب — مقاربة بنيوية تكوينية " ؟ وما هي مشاكل هذا الشعر ؟

— حاولت في دراستي الجامعية قراءة الشعر المعاصر في المغرب بوعي نقدي ، يبتعد عن الانبهار والاجترار معا ، وقد تبين لي ان الشعر المغربي المعاصر ، الذي يمكن تاريخ ظهوره هنا بسنة ١٩٦٤ ، ابن شرعي للشعر العربي المعاصر ، وان الذين مثلوه من امثال محمد السرغيني ، واحمد المجاطي ، ومحمد الخمار وغيره ، استمروا في تقليد الظواهر الشعرية الاخرى في المغرب الحديث من حيث اعتمادهم على المشرق ، دون اخذ المبادرة ، وتاثير

Digitized by Birzeit University Library

اللاحق في السابق ، وتجنب التنظيم ، والابتعاد عن المغامرة ، على انه شعر متصل بالصراعات الاجتماعية الي عرفها المغرب المعاصر،خاصة بعد ان تبخرت اوهام الاستقلال الشكلي ، واتبع الشعراء الرسميون نظم قصائد الامداح والتمجيد والتهليل ، وتراجع بعضهم عن رومانسيته المتفتحة ليسقط في انغلاق النص الشعري عن القهر والتخريب ، واستأنس البعض الاخر بالوظائف الرسمية " السامية " . لهذا كان الشعر المعاصر حلم اقلية تملكت بعد مرحلة قصيرة، بنوعية نتاجها ، وجدان وعقول الشبيبة التقدمية وكان اتصال هذا الشعربالحركة الوطنية ، والمعارضة التقدمية منها على الخصوص ،مبلورا لبعده التحرري . ان هذا الشعر حاول ان يعيد النظر فيما أعلنه شعراء العشرينات من ثورة خجولة على القديم ، وفيما اعتقده الشعراء الرومانسيون المغاربة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية جوهر الشعر ، بارتكازهم على الذات وانغلاقها . لقد برهن الشعر الحديث في المغرب على ان الشهادة اسبق مهامه ، فارتبط بالوقائع والاحداث وخالط العنف والارتجاجات ، انما المثير هو ما اسميه بظاهرة الانقطاع ، اذ نجد العمر الشعري للشاعر قصيرا في المغرب الحديث ، يبدأ في سن المراهقة ، وغالبا ما يتوقف عند حدود العقد الرابع ، ان لم يقف قبل هذا العقد ، اى في الفترة التي يفترض فيها طرح اسئلة الشعر من غير انفصال عن اسئلة الواقع . من الصعب التطرق الان الى المشاكل الناجمة عن انماط النجز، لانها لم تعد تتبدى لي هينة ولا عابرة ، يكفي القول بان جل الذين بدأوا في كتابة الشعر المعاصر في اواسط الستينات لم يعودوا ينشرون شيئا منذ ما يقارب خمس سنوات على الاقل ، وهم ما يزالون في مقتبل العمر .

■ فسرت ظاهرة الغموض تفسيرا جيدا في كتابك عن الشعر المغربي، هل يمكن ان تلخص ذلك باعتبار ان ليس كل القراء وصلهم الكتاب ؟

– كانت ظاهرة الغموض تستبد بي كثيرا لاني كنت مقتنعا بان هذا النص المكتوب بالكلمات لا بد له من قاعدة او قواعد ، كما ان بشكل لعبة قواعدها ، واكثر ما كان يحزنني ، ويدفع بي الى المتاه هو النقد الذى انتشر على يد نازك الملائكة ، ود . عز الدين اسماعيل ، وغالي شكرى ، وغيرهم ، ممن اصبحوا مرجعا، وكتبهم تشكل سلطة في المدارس والجامعات والصحف والمجلات والملتقيات . هذه الكتب تحدثت عن الغموض بلغة انشائية ، تكتفي بقراءة النص من الخارج ، اى باهماله كلغة ، واعتبرت هذه الكتب في فترة طويلة (وما يزال مفعولها ساريا) مالكة لحقيقة النص المعاصر . بل انها تنطلق من رؤية تقدمية ، ثورية . الى آخر ما نطمئن اليه من شعارية لفظوية ، وخطابة نوشح بها الفضاء .

ليس الغموض بظاهرة جديدة في الادب العربي ، ولا في الادب الحديث ، كما أن رفضه ليس جديدا ، فالموروث الشعرى العربي كان يعتمد البلاغة وهي قانون الوضوح . ولكن اليس للغموض بلاغته ؟ اذا نزعنا حكم القيمة عن البلاغة ، واعتبرناها قانون هذا " الشيء " الذى يجعل من الادب ادبا ، فمن الممكن الا نربطها بالوضوح ، ولكن بالغموض ايضا ، ومن هنا بحثت في " بلاغة الغموض " . ومع تسليمنا بان غموض (استعارة) ابي تمام ليس هو غموض (رمزية؟) مالارمية (وهنا اختلف مع من يقول بان ابا تمام هو مالارميه العرب ، وابا نواس هو بودلين العرب ..) فان قوانين اللغة الشرعية ، كما هي قوانين كل الموجودات الاجتماعية والتاريخية، متبدلة ومتغيرة على صعيد المعجم والنحو (النظم والصرف) والايقاع والدلالة . ان كل جديد غريب ومعزول ، يقوم اساسا على قلب قواعد اللغة التي يكون لناس قابلين بها ، اى انه يخرج على الذوق العام كما تحدده السلطة عادة . وهذا ملاحظ . لا على المستوى الشعرى فقط ، ولكن على مستوى اللا مفكر فيه ايضا ، وهو مثلا اللباس، المعمار ، الطعام ..(عادة ما نعرف المجنون بلباسه ، او سلوكه ، او كلامه، الذى يخرج على الذوق العام) ، بمعنى ان النص الشعرى موجود من بين الموجودات ، تخضع قوانينه لتغيرات وتحولات في تفاعلها حتما مع تبدلات الرؤية والحساسية والواقع اجمالا .

اذا كان النص الشعرى متميزا ببعده عن الكلام اليومي وكلام الفكر ، كما يقول موريس بلانشو ، فان هذا البعد متجدد التشكل ، متغير لا ثابت ، نسبي لا مطلق ، ومهمة القارئ (الناقد) هي أن يدخل مع النص لمحاولة اكتشاف اسرار اللعبة اللغوية المعرفية من داخل النص لا من خارجه ،والانصات للغة قبل اللجوء الى التاريخ او المجتمع او الموثرات الثقافية والنفسية ، او التكوين البيولوجي

Digitized by Birzeit University Library

والروائي ، اى ان يواجه النص ولا شيء غير النص في البداية ، ثم يستعين فيما بعد بما هو خارج النص لتفسير داخله ، قوانينه . وهذا القارئ (الناقد) يحتاج لمتاع ثقافي ، ولتحديد قوانين قراءته هي الاخرى ، حتى لا يسقط في الانطباعية او انزعة السيكولوجية (المدرسية طبعا) ، وبالتالي لا بد ان يتحول الى كاتب . وما حاولت التركيز عليه في مجهودي النقد هو الكشف عن اهم الابعاد) ما يقتطع اللغة من الكلام كما يقول المعرى) التي تشكل بلاغة الغموض في النص الشعرى المغربي المعاصر، من الناحية الايقاعية ، والنحوية ، والمعرفية، والدلالية ، مع عدم اهمال عناصر التشويش التي لا يعي بها الشاعر لترسبات رومانسية او لا دخل له فيها كالطبع والنشر . حاولت الابتعاد عن الخطابة في النقد واعطي للقارئ بعض القوانين التي ربما لم يكن ينتسبه اليها . وقد كان بودى ان اتحدث عن العلاقة بين النص وما نعرفه باللعبة السحرية التي تجهل قوانينها ،وهـذا مترسب في لاوعينا منذ العصر الجاهلي ، لا بل اتحدث فقط عن مظاهر الغرابة في اشياء بسيطة في حياتنا اليومية التي تدهشنا ولا نعرف سر هذه الدهشة كما لا نحاكمها عادة على غموضها ، ما دمنا لا نطلب منها ان تفصح لنا عن معنى ، عن اصل نرجع اليه ، نحن المسكونين بالميتافيزيق واللاهوت ، رغما عنا . ان اى لغة من اللغات لا يجددها غير شعرائها الذين يغيرون لعبة الكتابة في عصرهم ، بل قد يصلون الى تغيير الرؤية والحساسية والتنبيه الى ان الواقع قد تبدل هو ايضا . ولا بد من القول باننا لسنا مقموعين سياسيا واجتماعيا ، بل مقموعون في مخيلتنا وجسدنا ايضا ، ولا يمكن الحديث عن المادية الجدلية في الابداع ، دون مواجهته كصناعة ، كموجود قابل للتفكيك والتركيب ، لا الاختزال .

■ تطرح الان مصطلحات مثل " الحداثة " و " الايصال " ما هو تفسيرك لهما؟ وما هو فهمك للمنهج البنيوى في النقد الذى اعتقد انه منهج مفيد ولكنه ناقص لانه شكلي ، الا تعتقد ان " البنيوية " موضة نقدية انطفأت في فرنسا نفسها؟

— لست ادرى عن اى " حداثة " وبرايي ان مصطلح " الحداثة " كما هو مستعمل في العالم العربي عموما يرادف مصطلح " المعاصرة " ، باستثناء استعمال فذة نادرة له ، كما هو متداول في اوروبا . لا اظن الكلام عن " الحداثة " الاوروبية ممكنا دون الرجوع الى اصولها الفلسفية عند هيجل الذى انتبه للتكنولوجيا ، وماركس الذى نبهنا لفاعلية الانسان من خلال الصراع الطبقي في تغيير التاريخ ، وفرويد الذى ارتبط اسمه باكتشاف اللاوعي . والحداثة الشعرية ارتبطت تاكيدا في اوروبا ببودلير، واهم ما اعتمده هو خلق (انتاج) نص شعرى مكتف بذاته ولا طموح له في التواصل مع القارئ. بل انه يرفض القارئ .وهذا واضح في شعر رامبو ومالارميه ، بل انها تخلت عند الشعر وانتقلت الى الكتابة ، وهو ما اتضح مع فرانسي بونج وفيليب سوليرس هدف الحداثة (الشعرية) في اوروبا هو الوصول الى انتاج كتاب يتيم معلق بين اللا معنى والفراغ، لا شيء غير متعة الجسد وهو يكتب / يقرأ / يكتب ، يحيا عيشه وموته . والقارئ الذى تلغيه الحداثة هو القانع بالاستهلاك لا بانتاج النص ، لان الانتاج هو مشاركة فاعلة في اعادة كتابة النص ، خاصة وان حضارة الاستهلاك تنوجد في كل ما هو مغفل .

اطرح هنا سؤالا هامشيا ،ما الفرق بيننا وبين بداية ما يسمى بالنهضة العربية؟ برايي ان لا فرق بيننا، لاننا جميعا ننطلق من تبني اجوبة الغرب عن اسئلة الغرب .اين هي اسئلتنا؟.

اين هي علائقنا وفروقنا؟ ليس الغرب متجانسا ، وهي قضية رئيسة ، لابنا عادة ما نخلط بين الفكر والتبريرى لهيمنة اوروبا، اى التمركز الاوروبي حول العقل ، وبين الفكر النقدى الذى يفكك هذه الهيمنة ويدمرها. اعني به في البدء ماركس ، الذى لا يجب ان نرى اليد على اساس انه اوروبي ، بل ان ماركس عربي ايضا في الحدود التي نعيد فيها قراءة الماركسية في ضوء الخصوصية العربية. ما اقوله عن ماركس يصح عن فرويد . عن اى " حداثة " يمكن الكلام في مجتمع ما زال يجتر العلاقات والقيم والانماط الاقطاعية والابوية، رغم ما يبدو لنا في الوهلة الاولى من تصنيع ربما يتكاثر في بعض المناطق من العالم العربي ؟

عن البنيوية ايضا اقول ان استعمال مصطلح البنيوية راجع الى قرن من الزمان في اوروبا، فعن اى بنيوية نتكلم؟ علينا ان نتذكر ان هناك

Digitized by Birzeit University Library

بنيوية مدرسة ، تنحصر في وضع خطاطات، وربما كانت الاكثر انتشارا في العالم العربي. اما البنيوية التكوينية فذات جذور مادية تاريخية لا تخفيها. وحين نتحدث عن بنيويات بارط، لاكان، فوكو ، ستراوس ، دريدا، فلا بد ان ننتبه الى ان هؤلاء فلاسفة اولا واغلبهم مضاد للبنوية ، مثل رولان بارط الذى نادى بحذفها من المعجم الفرنسي ، وفوكو الذى يتبرا منها، ودريدا الذى يدمرها، لان البنيوية تحولت الى مصطلح صحفي ، على عكس مصطلح " البنية" الذى قدم البحث كمفهوم اجرائي . لماذا نتخلى عن هذا المفهوم اذا كان مساعدا؟ واعتقد ان المسالة ليست " موضة" او ما شاكل ، بل انها متاصلة في طبيعة تركيب وصيرورة مجتمع الاستهلاك . لا نستطيع الغاء اوروبا، فهي تسكننا اجبينا ام كرهنا، والاساس هو ان نعرف ايا من اوروبا نختار.

■ الشعر العربي الحديث ..في الثمانينات .. ماهي آفاقه والى اين؟ اذا وافقت معي ان تجربتين ادبيتين قد فشلتا : مجلة " شعر " ومجلة " الاداب ".

— لا نستطيع الان غير الانصات الهادىء لما يعتمل في الشعر العربي منذ ٧٥ ، حرب لبنان، وما استتبعته من ضرورات اعادة النظر في اختيارات التحديث في العالم العربي ، فما حصل ويحصل في لبنان هو تكثيف ذو دلالة بعيدة لمجمل مظاهر الواقع العربي وتحولاته ند ما يسمى بالنهضة الى الان . لا يمكن فصل الشعر عن الواقع ، في اى زمان ومكان . هناك من يرى الى الحالة الحاضرة وكانها لحظة عابرة اذ الثابت عنده هو تقدم بعض الاقطار العربية تكنولوجيا واقتصاديا واجتماعيا وربما سياسيا ايضا ، مثل هذه الرؤية ساذجة ، راضية ، تهدف الى تسييد الوعي الخاطيء وتغييب الاسئلة المحرقة.

لم ينج شعر الحداثة العربية من دمار وانهيار الواقع والقيم والطموحات المستلبة. ومع ذلك علينا ان نكون حذرين ، ان مجلة " شعر " كانت متفتحة وجريئة ، يتجلى هذا في النصوص الشعرية والنقدية العربية التي نشرتها لجميع التيارات الشعريةوالسياسية ، كما مثلتها شعراؤها، على انها كانت مجلة "جماعية شعرية ، مسكونة بالغرب كنموذج ، وبالشعر قبل كل شيء ، اما "الاداب" فانها كانت مجلة فرد، طرح الالتزام القومي ، كشعار سياسي ، معيار لكل شعر، ومن هنا جاءت قوة المجلتين معا وضعفهما في آن . ولا شك انهما اسهمتا في توسيع مدار التجديد، على ان غياب السؤال الشعرى عن " الاداب "، وقناعة " شعر" بالغرب كنموذج ، يعكسان بوضوح مفهوم التحديث الاجتماعي السائد في مرحلة فاعليتهما الثقافية، وهو المفهوم الذى اسقطته الحرب اللبنانية بحركة تطريسية خاطفة. هناك ايضا مجلة "مواقف " التي تميزت بجماعيتها ايضا ، وبجراتها في الخروج من القناعة والرضى الى القلق والسؤال ، ومن الصعب تحليل ما آل اليه وضعنا الشعرى في الثمانينات دون الرجوع الى " مواقف " . انهاالمجلة التي استطاعت منح امكانية من بين الامكانيات لخلخلة الجاهز والمغلق والمستبد في حدود تبدو لي ايجابية. في " مواقف " تجمع شعراء الجنوب اللبنانيون. وتحولات الشعر الفلسطيني ، وبعض الاسئلة الشعرية العربية التي لا اظن انها تتململ الى الان وضوحها الكافي .

خصيصة كل تحول شعرى ، في موروثنا العربي ، وفي الحداثة الاوروبية ، منبثقة عن تفاعل عميق بين انجازات وممارسات فكرية وابداعية وسياسية ، فلسفة وعلوما واقتصادا واجتماعا وموسيقى ورسما ومعمارا..ولا يمكن برأيي ان يجد الشعر اجوبته بعيدا عن هذه التحولات. علينا ان نتامل اليابان ، كحالة اخرى، هذه الارض المسكونة بميتافيزيقا الفراغ.

ان الشعر العربي في الثمانينات لم يتخلص بعد من اجوبة الستينات واوائل السبعينات تماما. واخشى ان تكون الاسلوبية هي المبتغى الرئيسي لهذا الشعر، ما عدا هوامش منسية تحاول ادراج الشعر في اسئلة اللغة والذات والمجتمع ، تحاول احتراف الانشقاق والنقصان ، وهذا الهامش الشعرى معزول ، عزلة الاعلام.

■ الشعر الفلسطيني بفرعيه : شعر الوطن وشعر الثورة الفلسطينية ، كيف تنظر لتوظرهما ، من خلال ارتباط الحركة الشعرية الفلسطينية بقضية خاصة وبارض محتلة، ومن خلال علاقة هذه الحركة بحركة الشعر العربي الحديث ؟

— لا شك ان الشعر الفلسطيني اصبح عنوان الزمن الفلسطيني الذى نتوحد فيه ونجدد من خلاله حياتنا ونستحق فيه موتنا جميعا. اول

Digitized by Birzeit University Library

اتصل كان لي بالشعر الفلسطيني ثم عن طريق ابراهيم طوقان ،صاحب نشيد جمهورية الريف التي اعلنها المجاهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي ، في الشمال المغربي . فكيف ننسى هذه الثار المقدسة التي اتقدت في دواخلنا يوم تعرفنا عليها. وشعر الوطن بهذا المعنى يلتقي مع الشعر الوطني في كل البلاد العربية من حيث ارتباطه بالارض والحرية ، كمحورين اساسيين ، على ان الذي كان اكثر حضورا هو الرحوم ابو سلمى . وقبل هزيمة ٦٧ كنا نقرا لمعين بسيسو وعز الدين المناصرة . ومما يمزجان بين شعر الوطن وشعر الثورة الفلسطينية والشعر المعاصر قوميا. ولن ابالغ اذا قلت بان شعر الثورة الفلسطينية . وهو اسير الكلام والغناء والانشاد ، قد حرك الوجدان العربي بعنف لا مثيل له في المرحلة التي عشناها على الاقل . فارتباط الشعر الفلسطيني بالثورة . التي في عمقها تقيض الاستسلام العربي الرسمي، وانفتاح عفوي ومتالق في آن على قدرة الشعب العربي بأكمله في التحرر وممارسة تحرير نفسه بنفسه . مما افتقدته الحداثة العربية شعر الثورة الفلسطينية على المستوى العربي جعل جل الشعراء، في فترة وجيزة ، يعشقون هذا الصوت الضارب في اتساع الرفض والغضب ، اتى الشعر الفلسطيني ليخرجنا من التامل الى الفعل وكان لا بد من فترة زمنية لنعيد النظر في مصدر هذه الثورة المجنونة التي مستنا، وفي فاعلياتها لا سياسيا فقط، ولكن شعريا ايضا. وربما كان هناك تعتيم اعلامي على شاعرين هامسين هما سميح القاسم وتوفيق زياد . ولا اظن الكلام عن الشعر العربي الحديث اصبح ممكنا في غياب تامل التجربة الشعرية الفلسطينية في ارتباط جدلي مع مواقع المواجهة اليومية للشعب الفلسطيني داخل وخارج الارض المحتلة . ان الزمن الفلسطيني لحم الشعر بالسياسة ، كما طرح اسئلة العلاقة بين الشعري والسياسي، خاصة ما يتعلق بجمهور هذا الشعر، ويكفي ان نتامل تجربة محمود درويش . هذا الشاعر العالمي لا العربي فقط . وربما بدانا نعيش الان مرحلة السؤال الشعري . لان ما اعطى لشعر الثورة الفلسطينية توهجه هو اعتماد الدم الفلسطيني اساس الرؤية والكتابة . وما نحن الان نفزع الى رؤية الوجود والموجودات بعين ثالثة . بعد ان اصبح شعر الثورة الفلسطينية ذا بعد قومي وانساني ، متاصلا في حرة التخطي التي ينهجها الشعر العربي ضدا على معوقاته الانية والتاريخية ، ولهذا فان هناك شعرا فلسطينيا ثانيا في اقطار عربية اخرى لم ينس بعد ان التحرر العربي تدرنا الجماعي وكليتنا المتكاملة . هكذا نجد الشعر الفلسطيني متفاعلا مع الشعر العربي وانشغالاته .

■ هل ما زالت لديكم ــ الشعراء المغاربة ــ عقدة ادباء المشرق ؟ خصوصا بعد التطور الملحوظ في حركة الشعر في المغرب ، وهو حركة بكر وحاره؟

ــ اصبحت عقدة ادباء الشرق تخت شيئا فشيئا ، كما اصبح نسيان المشارقة للمغاربة متداركا نسبيا . ليعلم اصدقاؤنا في المشرق ، واحبابنا في فلسطين المحتلة ، ان المغاربة لم يغيبوا يوما عنهم ، بل عاشروهم واختلطوا بهم وألفوهم وانتحوا الى جانبهم. لن اعود للتاريخ ، ولن اذهب الى تفسيرات قطعية المشرق عن المغرب ، منها ما اصبح معروفا، ومنها ما ينتظر التامل والتحليل ، ولا شك ان تقسيم العالم العربي الى مشرق ومغرب ناتج عن سلطة استبدادية مهما كان نوعها وتاريخها، ولا يمكن لاحد الطرفين ان يوجد بغير الطرف الاخر . وها هي الطليعة العربية، شعريا وفكريا وفنيا ، تفتح مع المغرب حوارا له ايجابياته في تحطيم الفئات الانعزالية هنا، ومن الضروري الابتعاد عن نرجسية المشرق الذي نظر الى الوحدة . بوعي لا هوتي .

وقد ينفعنا في هذا المجال التذكير بان عقدة المغاربة تجاه المشرق عموما كانت موجودة ايضا في مرحلة من تاريخنا الحديث في كل من الشام والعراق تجاه مصر على جميع المستويات . والخص القول في ان الاساس ليس هو اعتراف المشرق بالمغرب ، فهذا يتضمن اقرارا بسلطة متعالية ، بل على التقدميين والثوريين العرب ان يعيدوا النظر في مسلماتهم ومفاهيمهم، لا الواعية منها فقط، ولكن اللاواعية ايضا. علينا ان نعيد النظر في قوانين معرفتنا ومنظوماتها، ومن المحزن ان تعلم بان اوروبا اكثر اهتماما بالمغرب من المشرق . هل هي بداية لعبة اخرى ؟

■ العلاقة مع الثقافة الغربية ــ والفرنسية بشكل خاص ــ هل هي عامل مساعد لكم ، وما هي ايجابيات وسلبيات التعامل معها، وكيف تم

Digitized by Birzeit University Library

ذلك في المغرب ؟

ـ كان المغرب من قبل متصلا بالثقافة المشرقية ، ومن خلالها بالثقافة الغربية ، ومن هنا كان يتعرف على الفكر الحديث من خلال الوسائط المشرقية. ولذلك فان اغلب نتاج هذه المرحلة محدود القيمة،اضافة الى ان عدم احتفال المغاربة بالكتابةوالفصاحة اللغوية العربية ، ابعدهم عن المشرق .ولم يكن هذا امر الذين اخذوا ثقافتهم باللغة الفرنسية، وتعلموها في عهد الاستعمار او خخلفات الاستعمار الجديد. ولا نستغرب اذا وجدنا الطليعة الفاعلة في المغرب ، والتي اصبح المشرق ينصت اليها باهتمام كبير هي التي التقت مباشرة بالفكر والابداع الغربيين التقديين. ومع السبعينات اصبح عدد لا بأس به من المثقفين المغاربة يتصلون مباشرة بالفكر الغربي،وكانت النتيجة ان طرح الوسيط موضع التساؤل ، في تزامن مع هذا الطرح في المشرق ايضا. من المستحيل النظر الى المغرب كتجانس ثقافي ، فالثقافة المغربية تشهد صراعات صامتة مكتومة وعلنية عنيفة ، وهذه الصراعات انعكاس مرئي ولا مرئي لعلائق الثقافة المغربية بالموروث الوطني والقومي ، وبالنتاج الاوروبي ، في تداخلهما مع الاختيارات والصراعات الاجتماعية والتاريخية وما تعرفه من تقدم ونكوص في آن ، ليس كل انفتاح على اوروبا سلبيا، وليس كل انغلاق سلبيا ايضا. ولكن الايجابي هو معرفة ماذا نريد من الغرب ،واي فكر يجب الارتباط به ، ما يمكن علاقتنا وفروقنا. ان الغرب حاضر فينا، ولا يمكن تدميره الا منخلال الغرب نفسه اولا. لاسباب تاريخية قبل كل شيء، فالغرب ، كما قلت سابقا، هو الذي انتج هيجل . وهو نفسه الذي انتج ماركس مدمر هيجل . ومانقول عن هذين الاسمين ينسحب على النتاج الاوروبي جملة. وعلاقة العرب باوروبا ليس وليد اليوم كما نتخيل ونخال ،والخطر هو ان نعتبر كل رجوع الى الثقافة العربية ، والانغلاق على الغرب، سليم . فنحن في حاجة لتدمير كل استبعداد مهما كان مصدره، قديما اوحديثا، شرقا او غربا، سما او ارضا . وما يطرح على الثقافة المغربية مطروح علينا جميعا .

يوميات قلعة المنفى

عبد اللطيف اللعبي

اكتب ، اكتب ، لن اتوقف ابدا هذه الليلة وكل الليالي القادمة

ما انذاوجها لوجه مع نفسي ، دقت ساعة المحاسبة . خلعت برتي ، لم اعد الماسح لفضاء محدد، لجولة منتظمة، لم اعد اخضع لبوس الاوامر. تركت رقمي خلف الباب .الان، انتهيت من الشرب، الاكل ، الحاجيات، انتهيت من الحديث الذي يسمي الاشياء بمسمياتها المستهلكة. ادخن ، سجائر لا منتهية ، دخانها يخرج من الرئتين على شكل خطايا سلاسل ، دوائر مرة من الرفض، بدا ليل السجن يبتلع اضواء النهارلاصطناعية، نجوم شعتاء تغمر قبة الروى.

اكتب

عندما اتوقف ، يتحول صوتي عن اصله، كأن نغمات خفية تتسلق اوتاره، مدفوعة باعاصير غريبة، قادمة من كل المناطق التي تتقابل فيها الحياة والموت، يتناظران ويتراقبان ، وحشين بالوان متجددة، كل منهما يتجمع يستعد للوثوب لتدمير المبدا الذى يؤسس الاخر.

اكتب

لا يمكن ان احيا دون ان انفصل عننفسي،دون

Digitized by Birzeit University Library

ان اجتث نقط القطيعة والالحام من ذاتي ، حيث اشعر اكثر بالتمزق والصدمة، حيث انشطر عيش في نضالات لا تحصى : الارض ، الجذور ، عنفوان الاشجار، الفوران البارز في وجه الشمس .

اكتب

عندما تتلاشى اللامبالاة، ويحدثني كل شيء عندما تهتاج ذاكرتي وتتقدم امواجها حتى تتكسر على شاطيء عيني .

امزق النسيان وانبجس مسلحا كي احصد بدون عوادة ما يلحق بي لحق بي . تمهل ايها الانفعال ، تمهل يا انكسارى مما ينغلت ، ايا جرح الوجود تمهل .

اكتب

عندما يستحيل على ان اكتفي بمجرد لتفكير فيك ويدى من غيابك لم تعد تطيق الاحتراق عندما تراودني الذكريات : نفسك المنتظم او اللاهث، رائحة شعرك ، لا نهائية كتفك ، صمتك ذاك الذى احرزه وهو يصب بتؤدة في ذاتي كل تلون حساسيتك . تحركين يدا، تجمعين او تفرقين ساقيك ، ترجف اجفانك . اعلم علم اليقين الرعشة الخفية التي تخترقك ، الوقت الذى يضايقك فيه الضوء ، اللحظة التي تتشممين فيها النسيم وهو يولد ، الصورة ، نعم الصورة السريعة التي وشرشت قزحية عينيك ، اسأل نفسي : كل هذه السعادة، هل هذا ممكن؟ ما تقريرية تسرى في ساعدك الايسر ثم تنعمرين من جديد في اللجة المتبادلة التي تهدهدنا .

تمهل ايها الحنان، تمهل يا نهم اليقيم ، ايا حلمي المدمر للبكم تمهل .

اكتب ، اكتب . لن اتوقف ابدا.

عشر سنوات . ما معنى عشر سنوات في معادلة الحياة؟ كان الوقت فجرا، وانا في جوف حرارتك متى نمت؟ متى دخلت؟ ثم جن الجرس .كادوا ان يحطموا الباب بقبضاتهم . تاكدنا في الحين قفزت من السرير، اظللت من النافذة ، وبحذر ازحت قليلا الستار،كانت السيارة السوداء في الاسفل واقفة في الشارع . مطفأة الانوار. لا سبيل للشك . ثم شرعنا في التهيؤ ، كانوا مقبلين على سفر طويل ، كان الجرس يجن. كادوا ان يحطموا الباب بقبضاتهم.

اكتب

ما من حل امامي سوى ان اكتب . فكرت فوق الاحتمال في تلك الرغبة التي تحاصرني، منذ مدة قديمة ، والتي تجعل الواقع الذى يتراءى لي هو دائما في خدمة واقع آخر قادم،تلك الرغبة التي تجعل الحاضر مشروعا مستمرا، مجالا اراكم فيه المادة ، ادوات صرح لا اعرف عنه شيئا في البدء،ولا استطيع ان اتصوره الا نبضا لعصر جديد يسكنني ، ينمو بأيلام في داخلي وينظم وظيفته شيئا فشيئا. كيف اذن اسمي هذا التجسس اليقظ الاعمى للواقع ؟ لقلقه هي هذا المسرح العريض لنضالاتنا، آلامنا، ابداتنا وانبعاثنا، لكل حيوية تطوى تحت نير الصمت،كل الصرخات السرية،لكل الذاكرات المقطوعة الراس.

فكرت فوق الاحتمال في تلك الرغبة التي تحاصرني . ولكن تمهل يا صحوى ، ايا شراستي ضد ظلمات العجز تمهلي .

اكتب

ذلك الصباح القارس من صباحات يناير . يومي الاول في المنفى كنت ممدا على لوح . قيدوا الرجلين واليدين . خرقةكانت تغطي وجهي كاملا . والماء يندلق ،يخترق الملابس الداخلية ينصب في الانف ، يستحيل شربه .

— صب بكمية قليلة ، كان احدهم يخاطب الاخر

— وانت، اضبط راسه لصيقا باللوح، كان الصوت نفسه يوشوش .

— صب مرة اخرى ، زد قليلا ، كان الصوت يحرض .

— يكفي الان ، هكذا كان الصوت ينهي كلامه وكاننا امام برهنة حول مائدة تشريح، " الضمير المهني " ، الحرص على العمل "النقي" ، المتقن.

لم اكن ارهم . فقط، كنت اسمع الاصوات تاتيني من مسافات متباعدة ، ووقع الاحذية وهي تتجرجر على الارض. كانت الايدى اللزجة تضغط على راسي فوق اللوح ، اختنق ببطء، افكر بسرعة المقاومة والموت المترقب . هكذا كنت ولكن اى صورة .اى وميض لكفرة هذا الفيض يستطيع ان يعكس اتساع هذه اللحظة ان كان خيط الحياة يمتد ، يرق ، كحبل غسيل شد من طرفيه بعنف، حتى وصل الحد الذى تبدا فيه الخيوط بالتفسخ واحدا واحدا.

اكتب ، لن اتوقف

في كل لحظة علىّ ان اغالب هذا الضيق ، هذا الاحساس باللاجدوى الذى يثلني احيانا. هل يمكن ان نكتب ، نكتفي بالكتابة لخلخلة

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بير زيت
مركز الابحاث

جبروت حالة الحصار في الوقت الذى يصبح فيه كل طريق فخا، ومراكز التعذيب تعلن عن اكتظاظها ، وشعب بأكمله يفرغ يوميا من دمه. تعرض البلاد للمزاد العلني . مجزأة باحجام مختلفة الى قطع الماخور، قواعد الاغتيال لحم ــ شحم للالات ايدى العبيد.

وما عساني ان اقول مما لا يمكن لرجل لشارع، لاخر مراهق ملقى على رصيف البطالة والمقاه ان يدركوه ويتبينوه كالوجه الادكن للتعاسة الاليفة : انتظار، اعصي، احتقار، رصاص . ضعينة صلدة.

ولكن تمهل يا هول الشك ، تمهل يا عثياني، ايا بركاني المتطرف .

تمهل .

اكتب

هذا الليل امامي ، جديد بصمته، كلمات تنبت ، تنتظم ثم تحضر لمعانقة نفسي ، تهيكله صوتا، ما احلى ان ادخن .

في البعيد يصفر قطار . يقترب ، سرب جباحب لا مرئية . حرارة في الحافلات . البار مزدحم بالمستهلكين ، مسافرون يغفون في احلامهم المرتجة.

قطار آخر ينفصل عن القطار الاول ، يعبر سهول الاندلس ، يعيد لي غرناطة . نحن معا في غرناطة، كل شيء كان عجيبا، نتكئ على مشرب لتناول كاس صغير من الخيريرز، نشابك ايدينا نتهجى اسماء الازقة، نتامل الخطاطين، حفظةميراث الحمراء، وهم يشتغلون في دكاكينهم نسأل المارة عن طريقنا، هؤلاء الذين ينقل لك مجرد الحوار البسيط معهم رعشة الاخوة ، نغام، نصحو ينفس درجة الامتلاء. غرناطة التي كان فيها حبنا قويا الى درجة التمزق.

في البعيد يصفر قطار ، يخترقني ، ينفصل عن نفق جسدى . ومن جديد يخيم الصمت الذى لا يقطعه سوى نباح خجول لكلب لا شك انه انزعج في غفوته .

اكتب

يوم بيوم الملزمة ، معتقل . ما معنى ذلك ؟ زنزانة لها تمام صفات الزنزانة : مترات ونصف (طولها) متر ونصف (عرضها) ، انه تكعيب قانوني على ما يبدو . جدران مجيرة بشحة ، زجاجة ترشح بؤس واطاتها الخمسةوالعشرين مدفونة في الجدار، محفوظة في زجاج (منع) سميك مرحاض تقليدى وفوقه صنبور من النحاس. الفائدة الصغيرة القانونية وبها قضبان من النوع الجيد، لا تقل عنها قانونية في سمكها المحترم. رف صغير (يا للبذخ.) يمكن " للنزيل " ان يرتب عليه حوائجه. قبالتنا الباب الرمادية بفتحتها المغلقة بواسطة نظام اغلاق حادق يتكون من صفيحة معدنية ذات مزلقة هي نفسها متقنة بنظام اغلاق آخر مركب من خيط حديدى يمر بحلقة عند منتصف الصفيحة ليجدها في الاسفل لنا في الاخير مصطبة على شكل بناء مطلب بالاسمنت يحتل بخامة نصف الفضاء ويستقبل الفراش . هنا يعتلي النزيل عرشه ، ينام، يحلم بكوابيسه ، وفي بعض الحالات يقرر الانتحار بعدما يتيه في سردب من الهذيان والاستدلالات الغامضة . نحن طبعا في "السجن المركزى " جوهرة العقد بين معتقلات بلاد الشمس .

اكتب

يوما بيوم الملزمة . ونفيضها يوما بيوم . تنتعش السماء الخيالية الخرساء بافواج سحاب يقظ مكد، تستعرض لمحة الارض . والشمس تقفز فوق الاسوار تطيح بالغبش ، تطمئن على الربيع الوشيك، يتحرك الهواء مفعما بالبشارات المتداخلة . والعصافير التي لا يمسها القمع تنشر قرابين الوانها، تنشى، تتناسل ، تتعلم كيف توجه صوب الاعين مرايا مشتعلة تنعكس عليها مسيرة الحياة. واذ يمتلئ الحلم، يتحول روبا عضوية لما يقضي به الصحو . نعم ، المستقبل اصبح اكيدا ، انه يشع ، يشيع الحاضر بماديته. يوما بيوم تلك الاية المتجلية في العيش ، التحول ، الحب ، الامل القوى ، معرفة المعاد الغاء العزلة ، النبض بايقاع قلب العالم ، كل ذلك داخل نفس القلعة المنصوبة للموت البطيء الانحطاط ، الخنوع الجماعي ، الصلافة ، الحزن المتوحش ، المنفى الانساني . علينا اذن لم الاشلاء المبعثرة ، من دائرة اخرى ، علينا التوجه نحو هذا الغزو الجديد لاعمالنا.

اكتب، اكتب . لن اتوقف

رحلة تحولنا ، من شاهدى الاخر لمستلزمات العشق ؟ كيف افرق في هذا التراث المشترك بين القرابين الفاتنة التي حملتها لي والهدايا الجموحة التي وضعتها بين يديك ؟ ما الذى يؤسس العشق ، يجدده باستمرار؟ ما الذى يحيله فجما، سورا من العمى والانانية؟ ما الذى

Digitized by Birzeit University Library

يكسره عندما يجرى ككل غدران الوجود اللاواعية
وما الذى يحييه من الرماد والجولد الهمدة
للرجال والنساء الغابرين؟ كثيرة هى مناطق
الانسان التى تحتاج للبعث، كم من نوافذ عليه
ان يفتحها فى قلبه، كم من قدرات لا زالت
لم تنعتق من الكهف الجليدى.

ولكن الاصعب من كل ذلك هو القدرة على
الحيلولة دون زرع اوهام جديدة فى الوقت
نفسه الذى تتخلص فيه من اوهامنا القديمة،
لان العشق قارة هشة، ما زالت فى طور
التكوين. تضيئها شمسها الخاصة. تارة نخطو
فيها خطواتنا الاولى. واذا كنا نعرف جيدا
الرحلة التى قادتنا اليها، يبقى لنا ان نكتشف
الكثير، ورحلات اخرى تنتظر.

اكتب

هل المحنة وحدها هى التى صنعت منا ما نحن
اصبحنا عليه، فى وشيجة الواحد منا للاخر،
علاقتنا بالاخرين؟ قبل ذلك كانت المعرفة
والالم، الغشية وعتم الدوس. كنا تركن للصمت
والتوقع كلما صعب علينا الفهم. كنا نحتفل
منتشين عندما كان خيط من النور يبشرنا بمحتوى
آخر للحنان. يعضد حيرتنا ينتج لنا الطريق
للرحلة لم نعبرها. ثم بدانا نتكلم بقدر ما كان
العالم يبدو من حولنا اكثر واقعية، بقدر ما كان
شعبنا بفضل نضالاته وتضحياته يمنحنا وطنا
قابلا للحياة. بقدر ما كنا نستيقظ بدورنا للعطاء.
كل هذه الرحلة التى اكتشفنا فى نهايتها ان
ايدينا تتشابه بشكل خارق، حيث اكتشفنا
الاخوة.

اكتب

من جديد هذا الليل الذى لاقياس له. فجاة
تنبثق طائرة من جوف الصمت، ينفجر دويها
كارعونات جوية معطلة .. لا شك انها تتهيأ
للنزول، لماذا اشعر بكل هذه الحدة؟ وجسمى
كصندوق مكهرب من الاصداء. هل ترين؟ادنى
شيء ينفجر فى خلدى حضورك. ما ليس مجرد
ذكرى عابرة بل تجربة معيشة تزلزلنى وانا على
فراشى الحقير، تضغط على حنجرتى، تدفعنى
لترك القلم. وبالية اشعل سيجارة ثم ارحل
فى هذا الفضاء المتقاطع الذى يتحدى الزمن
حيث نسير، مقعمين. جنبا الى جنب.

اكتب

هل اعترف؟ انني لا املك الا ثقة نسبية فى
الكلمات، حتى عندما اتلمس جميع اوجه معانيها
ثم اتلظها بصوت مرتفع لاتيقن من عدم تصدع
رنتها، انزلاقها فى تراكيب الحذلقة. عندما
اركبها وانظمها اجدنى اعيد قراتها اعيد
حتى اتاكيد مرة اخرى من ان ما كتبته ليس معتما
ولا غريبا عن الاعماق المشتركة لعذاباتنا وآمالنا.
بهذا الحجم تاخذ الكتابة مسؤوليتها. وبمجرد
ما اتحملها (آه نعم اتحملها.) يستحيل على
ان اتهرب او ان ارضى بالجزيئيات. يجب ان
اصبح قادرا على الدفاع عن كل كلمة، كل جملة
واذا امكن يجب ان اعمل على ان تستقل كلماتي
بالدفاع عن نفسها حين تتوجه الى حساسية كل
واحد منا لتتناغم معها مثل تلك الفرقعة الاليفة
للمطر الذى لا تستغنى عنه الارض. مثل تلك
الحشرة من الورود الغريبة التي يجهش غيابها
الربيع.

ولكن تمهل يا عنادى، ايا شيطان الشعر
العقلاني تمهل.

اكتب، اكتب، لا يمكن ان اتوقف. هذه الليلة
وكل الليالي القادمة.

ليلة اخرى لا املك فيها سوى الكتابة. اصطدم
بهذا الصمت الذى يتحداني بلغة المنفى.
انتصب بكاملي للغور في صوت الليل المخيم على
السجون. انصت، وشيئا فشيئا التقط تنافسه،
اعبر مداه، استقبل اصداءه الدامية وكانها
تاتيني معكوسة. اطارد الصمت، انتزع منه
الضجة العاتية التي تحطم حواجزه ثم تتهشم
بدورى أخاذ قبل أن تنتعثر في ثنايا الليل.
ياتيني الوطن، نشيدا فضائيا ينهض من عمق
التاريخ: مسبكا من التوهج والعرق، عضلات
مزيتة وهي تدق سندان العادة المتمردة، بذور،
حصاد، خبز وزيتون اسود. طفاوة الشاي المحرق
الذى ينتقل كاسه من يد لاخرى، مزامير وطبول
وهي تهز الازقة في مواكب سرمدية، ضحكات
وزجرات الاطفال المنتشين بالموسيقى والعطور،
عرائيب حمر لراقصات وهن يعتلين موائد
مستديرة يوقعن بالارجل، والنهود تهتز كرمان
ناضج بالنضارة، جنون آلات القرع، موسيقيون
هائمون. يذبحون الكمجات الساخنة، يصعقون
الطبلات، يبقرون العيدات البدينة، المشتعلة
بكل زخارفها. صمت طويل ثم يعود لي الوطن
متلون الوجه. مشوها. صرخات مناوهناك،
صرخات عراك، افتضاض، اغتيال، صرخات
اطفال عيونهم زائغة وهم يجلدون ليتعلموا
الصمت، صرخات الجنائز والنائحات يندبن
ينتفن شعرهن، يضربن الارض بمناديلهم، يلطم
يلطمن اخادهن، يرطمن رؤوسهن على

Digitized by Birzeit University Library

الحيطان، صرخات رضعا مهجورين في البراريك
القصديرية ، في حلك كل انواع النقص ، صرخات
ملتهبة بالحمى وسوء التغذية ، صرخات نساء
يضربهن حتى الموت رجال سكارى وياسون،
انات وحشرجات ثوالا النساء المروعات ومن
يقبلن ارجل المعتدين عليهن ، يطلبن الرأفة،
لوجه الله ، لوجه الله ، لوجه الاطفال ، لوجه
البوس المشترك ، صرخات مارس محمولة
بريح بغض المتمردين ، صرخات التلاميذ
المصروعين في عز ظهيرة الاستقلالات المزورة،
مصفحات كالدياصورات في مواجهة احلام
صغيرة ومي تهجس في توالد الايام،
مد وجزر الشمس ، ابتسامة الرجال ، صرخات
رفاقي وهم بين ايدي الجلادين : تعليق ،
كهربا، خنق ، صرخات اد تتحول الصرخة لغة
كونية للمقاومة ، انشودة **ملحمية للفجيعة**
الانسانية ، للامل . ايا رفاقي الوديعين ، **لحمي**
يهذي ، وقلبي مجنون بحبه الكبير، عيونكم
التي لا تنسى وحنانكما الذي لا يقهر.
اكتب
في منتصف الطريق ، اكتب واقفا، عبر الملزمة
والجروح
تمر السنوات
تركض
والعقارب المقاريض تجز موانيء الساعات
تسحق يد الغول
مترهلا فوق سدته
هذا شعبي يسير
وانا احيا
ثـــانـــرا .

سلاما وليشربوا أبخرة

عبدالله راجع

الان كتبت اسمك في كاس القهوة حتى لا انسى
الان اسرح قلبي يشرب من نبع الايام المنسية
جرعات
مبني جنتك اكشف عن عمق تجاويفي
ماذا كنت تقول ؟
الان يثير الشجر الجانح للانفرازات الغشقية شيئا
اشبه بالرغبة في تحويل مسار الغيم
الان يتم الحفل بتوامه الشارع والزنزانة :
يخرج من مكمنة نحو المقهى قرس النهر انيقا
بالمعطف والقفاز
يخبيء خلف جريدته المثقوبة عينا لا يفلت من
قبضتها
سمك ، انت الان جسور اذ تترك شعرك منسدلا
كامير خير بين الشعر ومملكة لا حد لها
فاختار الشعر
جسور في صمتك يدرع مبيته ماخوذا بفحولته
وجسور في اللفظ يسد عضو ذكورته
متخذا انثاه من الديجور
الان اتشحت دائرة المسخ بابهة الخوذات
الكلدانية
يعود قرس النهر بخوذته خلف السمك المضرب
عن شطآن لا يملكها
وزمان صوفي يوشك ان ينهي تاسيس نبوته
يتقدم نحومضاربنا متشحا بوقار الفيلة
ليل يبدا تجربة الغزو بتاكيد فحولته
في تحويل الصلصال الى شيء يمشي
اخذته الرغبة في الترويض
الى حد استخدام السوط
الى حد استخدام السوط
فكان استعمال الفكين
شلاح الصلصال
ليل يعلن عن افلاس الغمزة في جولتها
قوران يخلع سرا عورته ثم يضاجعها
حبا في توريث سلالته المحترمة
شكلا يمزج بين الضدين
ليل يغتل شاربه الوحشي

Digitized by Birzeit University Library

ويهز الردفين

من ثم ابتدا التاريخ

من عرف
يدخلها الاحباب تباعا
ثم يعودون وقد تركوا رجلا
او ذاكرة ، ياتون فنظمهم اعصابا
ونقول بدانا الرحلة يا فرحة فاختصريها

في هذا التاريخ
حيث يتم ختان الانسان
تتهم الارجل باستخدام الاسفلت بلا ترخيص
حينئذ يظهر جسم يملك خمسة اقدام
وتكون الرحلة نحوك يا فرحة فاختصريها :

ولانك سيد كل الحجرات استحضرت اصابع من جعلوا الجدران جرائد هم
كنت تخبئها لزمان قد يفقد في الصمت اصابعه
او تبلعها خشية ان يتهموك بتهريب اصابع غيرك
ها انت الان تغادر جلدك نحو مساحات تنغل بالماعز

تنسج من سلهاك شيئا اشبه بالخيمة
ثم تقول : انتقلي يا حيوانات الله الى عصر الهينات الاجدر بالانسان ، انطلقي نحو الحليات الاكثر رعبا . . .

ياتك فيض من جوع الربان الى امراة تعصر حتى تنفك مفاصلها ، وتقول اقتربي ،
هل تدرك انك تفتح معراجا للرغبات المقموعة طي احاديث العمال
تشد حزامك بالكفين وتعدو مثل فقيه شكدالي
خلف نواياتلا تدركها عين
هل تدرك انك حين تجس الحفلة جس غريم
منعته الشرطة ان يحضر عرس امراة
يعرف بالتدقيق مساحتها
كنت كمن يثقب ابهة المدعوين ، يطوف عليهم
ولدان بابارين ، تتابع شمك حتى تكتشف الخدر
فتدخله دخلة فحل مشتعل . . ثم تعود
وما في السهرة من ابصر دوريشا يقتحم الباب ولم
تثقبه الرغبة في اظهار فحولته ، لكنن تدرك
ان المدعوين اختبارا خلف كواليس القاعة حينا ، اخفى كل منهم تحت المعطف ذيلا
وحشا بالقطن نوافذه حتى لا تفضحه رائحة الزيت
وجاءوا
هل تدرك انك مسكون بالفاجع من نوتات الموشومين
بآثار السيجارة بين الفخذين ، الموضوعين على التنينة حتى يتسع الشرخ ، اتسعت عيناك
فابصرت براميل النفط تسافر
ثم تعود مصنعة في علب ال " دى . اس . ال . "
ابصرت طيور ابابيل تجادل بالكرباج
وابصرت اله النيل يغادر ليلا معطفه نحو القدس بقبعة سودا على الرأس
وابصرت كتائب هذا الوطن المحموم كقود الليطاني

الى مؤتمرات الكنيست
واقدوك ، امتشقت اعواد الكبريت
اقتادوك ، تمطت مدن حتى قلنا انفجرت
ثم اتخذت من صوتك تكا ، واقتادوك
فما رفعت قبضتها ضد جنون الانهار العربية
واحدة ، واقتادوك . اخترنا ان نفتح للشارع
بعضا مما نملك من ابواب — صدأ الحزن علامات
وتدفقنا كالفاجعة اتخذت من خشب الطلح عصاها
. هل يذكر بحر الظلمات خطوطا
كنا نخدع احزان الراس الوثني بها
وهل الريح الجوالة تحفظ بعضا مما انشدنا ؟
واقتادوك ، تحركنا نحوك جيلا بثلاثة اضلاع :

ومنا من اثر ان ينجو بالجلد
ومنا من يطلع كي يبصر اكثر . . .
جيلا يطلع من امعاء المحنة
منا من يتحرك نحو السموات السبع
ثم يعود وقد صفت الرؤيا واكتملت
واقتادوك ، اخترنا ان نمتلك الرؤيا فاقتادونا . .
الان راينا فاكهة من زهر الصلصال تمطت
وقرى تتاهب كي تعبر ثقب الابرة
والان نقول ارتفعي يا حيوانات الله الى عصر القامات
الاجدر بالانسان ، انطلقي صوت مصبات النفط وهاتي
خبزا للاطفال الموعودين بجنات لا جائع فيها
وبنادق للسفر الاتي .
واذن بايعناك على فاكهة مثقلة بطقوس المنبوذين ،
وبايعناك على مجزرة تكتسح اليابس منا
فتقدم فينا كالنعرات الاخرى ، ناتك من آبار النفط
زرافات ، نرسم حولك بالاجساد خليجا
ونقول انفتحي ايتها الجدران على اللحظات الاكثر لكزا
للبارد من اعواد الكبريت

Digitized by Birzeit University Library

تقدم في هذا الصنف الراقي من أصناف الديكة
الان يكون السهر الشيق جغرافية
وتكون الغرف السودا، كتابا
والان تمارس عدوك بين لهاة تحرثها لغة
وأقاليم انفتحت في الرئتين على افظع عشق
سميناك أب العشاق، واعطيناك الكوثر
صهل الغيم ، فأمطرت ، وما امطر

سميناك الخودة ،
والحرف المثقل بالشوق الى التفريخ
واعطيناك الكوثر
قدم خطوته البحر، فتابعت المسرى، وتقهقر

الدار البيضاء يونيو ـ يوليوز ١٩٧٨

المؤامرة

احمد بوزرفو

الطريق طويل وابيض بين الاراضي المحصودة المنحدرة على الجانبين والطفل بدا صغيرا كنقطة ، لم يكن يحس بالمنجل في يده.. يسير وهو يلوح به ولكنه لم يكن يحسه..التراب يبرد ..احس تحت قدميه الصغيرتين ناعما ومدغدغا كالطحين، والتفت وراءه فراى خطواته مطبوعة على التراب كما هي : خطوة وراء خطوة نظر الى قدمه اليمنى وضغط بهاعلى التراب ثم رفعها نظر الى صورتها المرسومة ، نظر الى الاصبع الكبيرة تتبعها الاصابع الاربعة الصغيرةوابتسم : كالدجاجة والكتاكيت ، واحس على جبهته بنسمة باردة خفيفة فتنهد ...كم كانت الشمس حارة اليوم . وراى شوكة على جانب الطريق فاحس بالمنجل في يده..ضربها بقوة فاطارها عن جذعها الناحل المزغب ثم عاد فضرب الجذع نفسه واطاره . ابوه قوى ،يحصد طول النهار ولا يتعب . احس بالراحة حين تذكر غناء ابيه .. لم يكن الا دندنة خافتة تطفو فوقها مرة بعد مرة كلمات صغيرة متقطعة : " يا للا .. الغيام .. عشرلال " الشمس تنحدر نحو المغيب .. سمع الطفل خوار بقرة من بعيد فالتفت ولكنه لم يرها.. ابوه حين يدندن في خفوت لا يشعر باحد ، ينسى ما حوله تماما، وحينئذ يتباطأ الطفل في جمع حزم الشغير المحصود وينظر الى الحقول الاخرى . لا بد ان اباه الان يشرب الشاى عند عمته ، ولن يصل الى الدار الا في الظلام ، ولذلك فلن يرى خطوات ابنه الضاحكة على التراب المسحوق . خطوات ابنه الضاحكة على التراب المسحوق . امه هي التي ستفتح الباب في الليل ، اما هو فسيكون نائما ..على الجانب الايسر من الطريق راى وجها ملتويا يضحك، وحين التقط الورقة الملونة عرف انه وجه امراة ، فقد كان في اذنيها قرطان طويلان كقمرين معلقين .. كانت الورقة مكرشة ، لا بد ان صاحبها رماها بعد ان امتص حبات الحلوى ، مر بلسانه على الخد الايسر للمراة فلم يذق الا طعم الورق الاملس. طوى الورقة على اربع ووضعها في قب جلابته الكتانية وتابع سيره .. حين يمر تحت دار " العيساوى " فستهاجمه الكلبة البيضاء.. لذلك فعليه ان يخرج من الطريق الناعم الطوى وخترق الشوك والحصى ليراوغها... ولك دار " العيساوى " لا تزال بعيدة ..والتفت الى الوادى الاخضر في السفح البعيد فراى الاشجار والماء وطريق السيارات والبيوت والمدرسة ، ثم صعد ببصره وراء الوادى الى الجبل المقابل فراى الغابة والافق والسماء. جلس على حافة الطريق واخذ يتابع ببصره سيارة صغيرة زرقاء كانت تجرى كالنحلة مع الوادى الاخضر . لو اشترى له ابوه سيارة ..من الحديد

Digitized by Birzeit University Library

لا من التراب .. يجرها فى ساحة الدار على عجلاتهاالمطاطية ويجرى .. حتى يصـــل .. الى المدينة ؟؟ لمدينة هناك وراء الغابة في الليل يرون اضواءها البعيدة . ليلها كالنهار والاطفال فيها كالجن لا يخافون . في النهار يقراون الكتب في المدارس ، وفي الليل يلعبون تحت الاضواء الباهرة . ابوه لا " يعرف " اللعب لا "يعرف" الا الزرع والشمس والعرق ، وفي الصباح يخلعه من فراشه والنجمة بعد في السماء، ربما لحقه الان في الطريق . ونهض . الشمس وصلت الى الارض ، صارت حمراء كالدم ، وتراب الطريق بارد الان . سمع صفيرا متقطعا ونظر الى الامام فراى الماعز يملأ الطريق ، والاطفال يركضون ويصفرون . المغرب . وبعد قليل تبدك النساء في الحقل .. سيغرب الشاى وينام .. لن يصل الا في الظلام ، انتفض ونظر الى يده اليمنى فلم ير المنجل . وعاد راكضا . ابوه سيلحق لحمه بالحزام الجلدى . لا بد ان المنجل هناك حيث جلس ينظر الى السيارة الزرقاء . كان يلهث حين راى المنجل . فالتقطه ملهوفا ، وتطلع الى الطريق فلم ير اباه ، وعاد راكضا كالجدى كان الاطفال قد غابوا بالماعز . الظلام يغطي الارض بالتدريج كالنعاس ... بعد قليل لن يرى الطريق امامه ، والتفت الى الوراء فلم ير احدا .. لا ينبغي ان يكون طفلا خوافا .. ليس هناك احد ولا شيء وراءه .. لينظر فقط الى الامام وليتابع الركض . ولكن شيئا خفيا عائما ضبابيا يقبل وراءه من بعيد .. ليس شيئا .. ليس شيئا .. وعاد فالتفت وراءه ايضا ، فأسرع في الجرى .. واسرع الشيء العائم الاسود وراءه ..واحس بانفاسه في قفاه فصرخ ،والتفت مذعورا فراى الشيء الاسود لا يزال بعيدا . وتابع الجرى وهو يبكي في خفوت . وقبل ان يصل الى دار " العيساوى" .. "يدين يدين .. يدين طويلتين ناعمتين ضاحكتين دافئتين .. يدين حنونتين ..يدين امامه يراهما وتغيبان .. يدين يدين يدين.." وانكفأ على وجهه .. عثرت رجله بحجر نابت .. فسقط ببطنه على سن المنجل الحاد ..كان المنجل يبقر بطنه والشيء الاسود يطبق عليه.. وصرخ لحظة .. ثم غابت عنه الدنيا ..

العيش والتوهج

بقلم السيدة غرفانة بنونة

تتمايل الاوراق العليا من الشجرة بتوادة، ذلك لان الرياح كانت قد هاجرت الى عالم قصي وكانت النافذة ذات الستائر المسبلة تتماثل عنها دون الحاح : ففي الداخل يلعب التكييف والضوء الاحمر والكأس الطافحة لعبته.

تمايلت على الخصر بعد ان سوت الابرة على النغم المفضل فسار على ركبتيه راكعا يقبل الفدمين الراعشتين . لست قمة راسه وقمة النشوة ، ثم اسبلت دراعيها للثمة الحنـــون (أستطيع ان اتاكد من هذا النصر ؟) اختطفت انامله الكاس الموضوع على حافة المائدة الزجاجية وتجرعته دفعة ، ثم انسكبت على السرير تقهقه بجذل .

× × ×

انفتح الباب واطل فقالت :

— اهلا

ابتسم الوجهان واشع منهما فرح صغير صادق ، ثم جلسا :

— جئتك في امر .

— مرحبا .

— انه خصوصي ، ومع ذلك نريدك فيه ابتسمت لتداري المفاجاة قبل ان تجيب :

— لو انني استطيع

الرسمي هو كل ما هو غير انساني ، والعلاقة الصميمة تهتك المستحيل والمباح . وان يضعك الاخرون في منصة فيجب ان تكون اهلا لها .

Digitized by Birzeit University Library

والرسالات، منها الكبيرة وحتى الصغيرة ،وهذا الانسان عالم غريب من الاقتدار والعجز . وحينما يحبك الحب خيوطه الدقيقة والعميقة تكل السدود تنهار . وتلك الكتلة الهائلة من البحث الابيد عن المطلق والموضوعي تحيي الانسان وتقتله .

واجاب المتحدث :

— لا داعي للتهرب .

— ابدا ، ولكن ..

فقاطعها :

— نرجو المعذرة ، اننا من جبهة اخرى نريد ايضا ان نهاجم هذا الهجران الجديد لديك ، لتظلي من انت : يدا ولسانا وحركة .

ابتسم القناع وتلعثم الداخل ، فتلك هي القضية ان نكون ونظل ، كلنا، لسانا ويدا وحركة . .

دفعت القلم في قفصه وواجهت :

— طيب . .أهناك ما يمكن المشاركة فيه ؟ .

انحنت عينان بتفكير، وارتفعت الاخريتان لقد ادرك الاخر فحوى البحث عن موضوع الزيادة المفاجئ، لديها، فاستدار نحو رفيقه الذى شرح :

— كل منا لم ينتسب لهيئة او تكتل ، وحاليا نفكر في الموضوع بجد ، لهذا جئناك نستشير .

المفاجأة في العرض والموضوع . والزمن السياسي يطرح استفهاما؟ وما اختاراه يبين السبب والنتيجة . ومع ذلك اجابت دون تفكير .

— تفضلا . .

ابتسم

ابتسم وجه وقطب الاخر :

— لكن لماذا الاجابة بهذه السلبية ؟

مدت بصرها الى الابعد ولم تخف :

— الي ان اسأل ؟

— تفضلي

— لماذا حتى الان ؟

كانت الاذانة تغمر الجلسة والمكتب وحتى ضجيج الشارع الذى خفت دويه .

التقت العيون الاربعة بدهشة . واما عيناها هي ، فقد تراكمت فيهما عصور من التوتر والمواجهة والتحدى . لكن ان من يلتحق بمن قد مد يده الى فتات المائدة فانه يكون قد ارتحل الى الضفة الاخرى من الشعب . واجاب :

— صحيح ان هناك تاخيرا في الموضوع . .

فهجمت :

— مع ان الاسباب كانت كثيرة . . كل الهزائم اليومية التي تقتل الحقيقي وتنبت عكسه .

— نعم نعم . .

قالها الاخر كدفاع ، كجدار هش يحمل سقوطه في وقفته .

— وادن ، فلماذا الى الان ؟

فدافع :

— انها الظروف : اليومي واشغاله .

— وذلك سبب آخر من الاسباب ، كل تلك الامور الصغيرة التي تفتك بالقضايا الكبيرة هي مدعاة اساسية اخرى ، اليس كذلك يا محمود ؟

كان محمود هو اللسان الصامت والوجه المفكر وتلك المسافة التي يبقيها بينه وبين الاخريـــن والاشياء، كانت تجعله في شبه امان، لهذا اقتربت منه .

نظر اليها ، ولعله كان يخفي قصدا، لان الصمت صمته بالخصوص، يحمل ما هو فجائي او ما هو مرمي . ثم اجاب باستفهام ايضا :

— في رايك ، والواقع الاجتماعي والسياسي على ما هو عليه، ايقتضي ان نعاقب على الماضي او نفسح المجال للمستقبل ؟

توقفت نظرتها عليه . كان حضورا مثقلا بما هو منطقي : فالى اى حد تصبح سلبيات الماضي حاجزا عن دخول المستقبل؟ لكن ان دمننا تحمله يطيل اضلاع القفص ضدك يا محمود . ولم تهادن :

— نعم . .انما والهيئات السياسية في العالم العربي على ما هي عليه، قياداتها بالخصوص، فهل سيكون انضمام اى منكما موافقة او تزكية ؟

— لا تلك ولا هاته .

× × × × ×

تتشابك الادرع كالعرائش المهجورة، وبرد الثانية عشرة ليلا لا تحسه مثل هاته الاجساد .

دق الباب حيث اظل وجه . كانت اناقتها جواز الدخول الى علبة من علب الليل . الدخاني والحرارة والصخب هي المراسيم الجديدة للحياة المهزومة وبعد ان جلسا انكب على وجهها وابتسم . كان يريد ان يقدم لها المزيد، ان يحشرها في وهج الاقبية الليلية، ان يغجر من حواليها شبق الزوايا والغمالة والتوحد . ومن ثم لعلم ادرع بذلتها وضمها الى صدره في رقصة وحشية الوقع . كان الشوق فيه الى الانثى هو الاساس، ومن ثم كان يدمر ما عداه، الدمية اساسا هي المطلب في العناق والتوحد ، وكان الخوف من عودة الاخرى فيها يزرع قرحته بفزع مذلول .

الكؤوس تتوالى بعد الكؤوس . وهي تتشرب

Digitized by Birzeit University Library

الدوخة والعجاني وعنفوان قامته.

احرق الاساسي يا بطل السلبيات الحديثة، فالعالم في الخارج يتماوج ـ آه اسقني ـ يتماوج بالتناقضات المدمرة.. وبطل انت أصبحت لن يخوض غير معركة الزوايا والكهوف.

تقدم آخـــر :

ـ اتسمحين برقصـــة..

ابتسم القناع ايضا ونفخ الداخل. (تفضل) وقت طويل وادرع كسلاسل الرعب.

عيون الاخر سكونه بغيرة بدائية، وهي ما عليها الا ان تضع على وجهها بسمة اصطناعية، كهذا الضوء المتغير الالوان، واللحن المهزوز، والحركة الدموية.. من قبل باركت الظما، وما هي الان تكاد تخطو نحو الاستسلام لتكون الانثى النموذجية للفحل المخصي: فيا أهل الكهف اما يكفي؟.. الصرخة خارج عالم الصم وهذا الهدير الصاخب لماذا يمزق الظاهر والباطن باصرار؟ سالت القدود، والصبا، والزمن الاتي، وكـــل مرافق الحاضر، وظل الكاس في فم الاخير هو الجواب (اشربي).

اكتست القاعة بتوقع اقرب الى الغضول. انما لا علي، فلقد سبق لي ان بررت موقفي امام الاختيارات الجديدة. لهذا تركت للحماس العام ان يغنوني بعد ان كنت سلبيا اتجاه كل ما يثير.

وانصت مع الاخرين الى صوته المبثوث عبر الخطابة البارعة، حيث تخدر الجمهور بلذة، لكني بقيت هناك في الماضي القريب ومعي بعض استفهامات رغم حديثة الحيوى الذى يحكي عن الحاضر، غير ان هذا التداخل الزمني وتداخل الاحداث وتناقضها رماني في تشابل مبثوث، ذلك ان من يتابع الاحداث والمواقف، يسمع هذا ويرى عكسه، فانه لن ينجو مثلي من ذهول يكاد يعصف بي بي ويرميني الى حافة السلب، والا فيجب ان اصرخ واستغيث، انا، محمود عبد المغيث، لاتخلص من هذا الحزن الذى اطبقت عليه الان حنايای.

واليكم ما حدث:

كانت خطيبته في الجمع العام تساند القضايا الوطنية والقومية والانسانية: الصحراء المغربية، والقضية الفلسطينية، وقضايا العالم الثالث. دموع الداخل تعمق الغضون في القلب، لكن الخطابة لن تغير من الحقيقة شيئا، فعلى امتداد التاريخ، تبقى القضايا الاساسية تسير رفقة الزمن الجديد. لا تتاثر بحربائية السياسة وتناقضها، لان الدم هو قلم الخرائط الحقيقية، غير ان الجروح هي دلائل العافية حينما تبقى الاجساد. تتوجع من محاولة تحريف الوضع الجغرافي في تلك الخرائط نفسها.

× × × × ×

استيقظي يا دروب المدينة النائية بين ادرع الحانات والاقبية المظلمة، وتوقفي عن الترنح يا رجلين تعبرات الظلمة مجددا. البلية غير اساسية وقحط العالم غير طبيعي، ومعالجة الخسران بمثله اليس جبنا؟ اجيبيني يا دروب الدمى والاشباح وقولي هل الاحلام يمكن تفجيرها من صميم الواقع المفتعل. (اشعل لي). اشعل لها ثم رمى ذراعه حول خصرها يساند اضطراب الخطو. آه. كم احس بظما لا ارتواء له.

ـ الا تشرب كاسا اخرى؟

ـ كما تريدين.

(النصر نصر حتى في الهزائم عند بعضهم) قادما نحو السيارة وهو يحتضن نصره في الظما هذا. يتلمس راحة كفها كامتلاك واعد. الاصرار عند كل منهما مختلف، لكن الان.. الظما القحط في هذا الواقع، والظما قد ابتلت به حناجر اضافية. لكن أين انت يا بطلا مثوشا في رحم الارض والشعب؟؟ تابعت السير جريحة يرافقها بود الاعماق وحزنها والعطش..

الحزن تصلب في المكان.. على القنينات والكؤوس والعزلة. اما الهدير، فهو في محطات نائية وحنانك الناعم لا يسعدني عن الرحلة المنتظرة اليه.

مد الكاس اليها. الكاس نفسه يغني حزنه وهي وحدها تسمعه. آه يا وبطن الشوق والخيبة والبطولة المؤجلة. كيف لي بادراك العلاقات من جديد للوصول الى المحطة النائية؟.

ـ اشربـــي.

ـ انه صوتك وجسدك، حيث المتكا الموقت، لكن قدني خارج الدروب والعتمة، فجرحي يعتصرني والصحو قد حضر..

ـ قم بنـــا.

فتعجب:

ـ لماذا؟ انها رغبتك في ان نشرب كاسا.

ـ لكن يا سعيد العمر الا تعرف ان النار الحقيقية تحسم الادوار، وان القتل هو قضاء التغيير.

ـ ... ماذا تقولين؟

ـ اقول لك دعنـــي..

Digitized by Birzeit University Library

فالاجساد حينما تصبح مخصبة للارض، فان الثار البدائي يحقق تاريخ القطيع . .

— ايتها العزيزة . . : اعدت لعذاباتك ؟

— بل عرفت ما يلزمني . .

— الا تكون الكاس . .

— لا ابدا ، لقد كانت مرحلة وكفى . . ابق لها انت ، للاحتماء بها من وهج اليومي واتركني .

— كيف . .كيف ؟ وانا لم الثق بك الا بعد انتظار عمر .

التوحد بالقضية اساسي . والتيه عنه مضيعة اضافية . وان نظل نبحث عمن يكون بطلا عوضا عنا بين تلافيق دخان السجائر وعتمة الاقبية ودلال السقاة واحرف الكتب فان عمر المعركة يتمدد . .

الظلمة اسفل الدروب ، وفي القمم بعض التباشير . الخطو يتواصل وهو يتكلم بما لاتسمعه والثقوب البيضاء تخرق السواد ، لتتالق من بعد ملامح الفجر الاتي . .

+ + + + + + +

افاق المكان من سكونه على دقات صغيرة :

— تفضل

فانغلق الرتاج وظهر :

آه محمود . .انت ؟

وهمت بتحيته ، ثم تراجعت امام جمود نظرته ووقفت امام النافذة حيث السماء رمادية خانقة ، قربت وجهها من السياج الحديدي ، واستنشقت مل ء رئتيها هواء . . لا ، لن تصرخ ، فما في اعماقها هو عالمها الخاص والعام . لهذا استدارت بخفة ونظرت اليه بشغف طري .

— مالك ؟

فداهمها سكونه المطبق ، وكانت تعرف صمت البراكين ودمارها الواعد . لهذا طلبت منه ان يترك وقايته وان يصرخ . .فتفجرت الدموع :

كان هذا الرجل يبكي بصدق ، فامتدت اصابعها تمسح دمعه وكثافة حزنه ، آه يا فتى لم تتحمل تجلياته خيانة الشعارات والمبادئ والمصطلحات الكبيرة : فماذا بك ؟ ابتسم بعدرية وهو يرنو دون مرمى :

— اتعرفين انهم يجعلون الحداد خودة للمعارك المزيفة التي يصنعونها لنا ؟

كان وجهه مغلقا ، وكانت في شوق للقياه في العراء

— اهذا كل شيء . وضربت كفا بكف بحزن ناضج غير مبال :

ففغر فاه وهو يحملق فيها ، فاضافت :

بسيطة . . كل هذا لانك كنت ممكونا بالوجه المثالي للريادة والرائدين . . خصوصا في عالم كعالمنا ، مسخت فيه الادوار ما دام دور العمثل الحقيقي لم يو د بعد : دور هذا الشعب العظيم .

هاته المرة رنا اليها مباشرة . كان كانه لاول مرة يحاور طرفا موجودا . وسال :

— واين هو ، هذا الحي الذي تقولين عنه انه عظيم ؟

— انه انت . . كل هذا الجيش العرموم التائه ما بين محيط وخليج ، الذي شردته الهزائم والانظمة فشرد نفسه بين كل الادواء العصرية على يسلو .

واجهش في بكاء صامت .

الابطال غالبا لا يذرفون دموعا مرئية . وهل يعقل ان في ساحتنا لا زالت عيون تملك ان تذرف ؟ سارت في مساحة المكتب الضيقة طولا وعرضا . كم تكره البكاء والبكائين : لقد علمها الماضي انها ، الدموع ، ليست سوى زيف او مداهنة او غلبة او حزن عريق ، يهز الجذور اللامرئية للوجود المطلق . واخيرا وقفت امامه كشفا عاريا وطريا من الحزن الابيد او الفرح البليد ، فتملكه شعور بانه لا يستحقها : امراة تتعشق ثورة القطيع دون بهلوانيات من محترفي القيادات والمواقف وقف : هاته المرة استطاع ان يقف حركة ومضمونا فوقفت في مواجهته :

— الخيانة ممن هي اساسية فيهم ، لا تستحق انفعالا او ردة فعل . فلماذا نظل نحن هذا الشعب وهذا الفرد العربي نلبس لبعض منا لبوسا اكبر من حجمه ومن الواقع ، مطابقتنا فحسب لحلمنا ومطمحنا ، حتى اذا انكشف حجمه الضئيل ، دمرنا النفس في خسارة اسطورية على هذا الكشف الاليم وتكلم :

— ولكن حتى منهم ، من تعتقد انهم اخر من يفعل . .

ابتعدت عنه قليلا :

— شرح الخريطة السياسية وضع البيادق الكبيرة والصغيرة في اماكنها ، ثم استعراض الاحداث واستخرج النتائج ، فماذا تجد ؟

فلو كنت فعلت ، لما حصل لك هذا الغليان نتيجة تناقضات القيادات السياسية الرسمية والشعبية .

ارتبكت نظرته قليلا ، ثم تركزت في نقطة مفكرة . كان كانه يحفر في الماضي والحاضر ، ويجمع ما يجد . وكانت ملامحه تفضح رحلته ، غير ان قصفا راعدا غير منتظر في السماء ، جعله

Digitized by Birzeit University Library

السجائر، اتمنى ان تدوم صادقتنا الى الابد. لك باخلاص...). لم يتأخر الرد وجاءني بعد شهرين قالت انها سعيدة لمراسلتي، بل هي تعتبر ذلك واجبا انسانيا. قالت انها تحب الحيوانات الداجنة وهي تمتلك الان ارنبا ابيض وسلحفاة بالغة اللطف. ثم سالتني هل اربي حيوانات انا ايضا وطلبت مني صورتي.

بعثت اليها بصورة والدي الذي قتله الالمان في الحرب العالمية الثانية وهو يدافع عن الاراضي الفرنسية. ونظرت الى ابناء اخوتي، وهم يتقافزون في برك الاوحال حولي وكتبت انني ارى عجلاوذبابة خضراء، وان اكثر شيء احبه في هذه الدنيا — بعد المراسلة طبعا — هو انظر الى الجعل وهو يدحرج كرته الى الخلف، وبعد شهر وعشرة ايام اجابتني فقالت انني ابد ايدو جميلا في الصورة واشبه الامريكيين تماما، الا انه لا يبدو منها ما اذا كنت احسن ترقيص الافاعي ام لا، وقالت انها تسكن منزلا بالضواحي — لان المدن عندهم امتلات بادخنة المصانع وعوادم السيارات، له حديقة خضراء ومسبح وملعب تنس، ضمنت المظروف صورتها وهي تقف به في رداء التنس الابيض ممسكة بالمضرب في حالة تاهب. كانت الصورة ملونة وكان وجهها بدون ملامح وبشرتها تشبه لحم الخنزير المسلوق، ومع ذلك قلت لها انت رائعة الجمال، وان وجهها ذكرني بوجه ممثلة عالمية عظيمة نسيت اسمها. وقلت ايضا انني لا احسن ترقيص الافاعي ولا شرب الماء المغلي وأكل الزجاج والصبار، الا انني احسن ركوب الدراجة بالمقلوب وايقاف الكرسي على رجل واحدة وتكوين قنبلة صغيرة من عودي ثقاب فقط وغير ذلك من الاشياء المسلية والمفرحة، وقلت لها لا تهمنا البته — مثلما تهمهم — فالجو هنا رائق والشمس ساطعة ابدا، ويكفي ان يفترش المرء الساحة التي يشاء من الارض الخضراء النضرة، ويلتحف بالمنطقة التي يشاء من السماء اللازوردية الزرقاء لكي يعيش في سعادة مطلقة.

وقد فرحت ليندا جدا جدا، وجاءني جوابها بعد اسبوعين بالضبط متضمنا قصيدة شعرية كتبتها قبيل توصلها برسالتي، وكدليل على فرحها، وحبها لي، قالت انها تبعث بها الى قبل اطلاع اي من صديقاتها واصدقائها الاقربين عليها، وهي تسالني رأيي فيها، وخاصة مدخلها الذي يقول:

هل فكرت يوما فيما سيحصل
لو اننا فقدنا، فجاة، السماء
الطيور متضحي حزينة حزينة
لانه لن يعود لها مكان تحلق فيه

وقد احسست فعلا بنوع من الاطمئنان الداخلي، لان طيور "الزوش" المسكينة التائهة والمشردة وجدت اخيرا قلبا من اقصى العالم يهتم بمصيرها فيما لو فقدت السماء. واجبت متحمسا انها روعة، واضفت ان العصافير سوف لن تكون وحدها الحزينة لهذا الفقد، بل اننا نحن ايضا سنحزن لافتقادنا الوحابة التي ترتاح فيها اعيننا وقلوبنا بعد طفحها بادران هذا العالم السفلي الفاني.

وقد شكرتني جدا على عواطفي، وعبرت عن استغرابها وفرحتها الشديدين اذ وجدت شخصا بعيدا عن بلدها يفهم الشعر الرقيق الذي يعبر عن دقائق خلجات النفوس، في حين ان اصدقاءها وصديقاتها الاقربين سخروا منها واتهموها بانها تعيش في عالم الاحلام. ومن شدة استغرابها وفرحتها اخبرتني انها ستقوم بزيارتي لكي نتراءى ونتناظر وتتناقش عن قرب، واحسست بالجن الازرق داخلي ينتفخ فرحبت بها في رسالتي، وبعد اسبوع اخبرتني بموعد رحيلها ووصولها. وفي الوقت المحدد تماما كنت في انتظارها بالمطار.

— الشيـــخ ..—

انا الان شيخ خرب مثقوب كحذاء قديم، ذكرياتي التافهة (كل ما تبقى لي من ايامي الماضية)، احملها معي مثلما يحمل المتسول اكياس الخبز اليابس على ظهره، وامد يدي مرة مرة فاخرج لكم منها قطعة: عفنة خضراء او بيضاء، فاسمع نهنهات ضحككم المكتوم او اري نظراتكم المشفقة. اود ان امسح لكم بكل هدوء انني لست مهرجا ولا نداب، بانني كنت انا ايضا طفلا مرحا، وكنت مصمما على عيش حياتي بقوة وفرح: واللحظة اذ ارفع راسي نحو دكنة السحب احسني صرخة انفجرت وستسقط في مكانها ستتكسر على الاثير وسط العمارات ولن ينتبه احد لهذا الشيخ الذي انتهى لم يعد صالحا للوعظ ولا للشهادة. لم اعد صالحا لحب ولا لفرح. ولم اعد ارغب في غير ميتة هادئة فوق تل اخضر، يتخلل مسامي نسغ التربة، واصبح السمع للكون المحتضر وهو ينوح حتى النهاية.

— الشيـخ — ليندا وود:

تعرفت على ليندا وود بواسطة المراسلة.

Digitized by Birzeit University Library

شعرها اشقر وعيناها زرقاوان، تحب الارانب والسلاحف وتكتب الشعر، واتت يوما لزيارتي فكنت بانتظارها في المطار.

نزلت الطائرة، نزل المسافرون ونزلت ليندا وود . نظرت الى وجهها فسمعت شيئا يتكسر داخلي. بحثت هي في الاوجه المنتظرة ولم تعرفني. سمعت شيئا يتكسر داخلي مثلما تتكشر الزجاجات التي يقذف بها السكارى في اواخر الليل نحو زوايا الازقة المظلمة فتنتفض القطط وتموء في الم وهي تجرى مرتعبة. سمعت ذلك فضحكت . نظرت ليندا الى، نظر المسافرون ونظرت حيطان المطار فرفعت صوتي بالقهقهة. ضربت كفا بكف، نفضت الغبار عن جمجمتي وثيابي وذقني النابتة: تعرفت على ليندا وود بواسطة مصلحة الشباب الدولية. ليندا امراة عجوز ولدت سنة ١٩٤٥ ، ولينداً تمتلك خمس قارات وسبعة اجواء. وانا الان اقهقه واتجه نحو باب الخروج الذى اخذ يكبر ببطء وببطء.

ـ احلام الشاهد السبعة :

في الليلة الاولى، رايت العشب يلتهمه اللهب.

رايت في الليلة الثانية العصافير تقتل مفردة الاجنحة فوق التربة السوداء.

رايت في الليلة الثالثة الاكواخ تنهدم والقناطر محطمة.

رايت في الليلة الرابعة الاغنيات تصير رمادا ورعبا.

رايت في الليلة الخامسة مياكل العظام والمحاجر الفارغة.

رايت في الليلة السادسة الصلصال والاحجار الصخرية، رايت الصقور تحوم عارية الاعناق، وسمعت نعيب البوم ونعيق الغربان.

في الليلة السابعة لم ار شيئا ففتحت وامام حدقتي المشرعتين رايت الدم ـ وبدون رغبة مني او اختيار ـ يتدفق نحوى من كل اتجاه، مع الطبيعة واوراق الشجرة والرياح والستائر يرتعش.

فنظر اليها بتركيز، ثم بعد وهلة سال بحدة :

ـ والان ؟..

فردت اليه نظرته :

ـ الم تقل انت نفسك من قبل، ان انضمامك لتلك الهيئة السياسية سوف لا يكون موافقة ولا تزكية.؟

وفي دوامة القلق والبحث وجد نفسه يسال كمن يستغيث :

ـ لكن الان..

ويتعاطف انساني جدى عظيم، وجدتها تقول دون فكرة النصح او التوجيه :

ـ حينما يودى المرء ثمن مخاضه بطريقة من الطرق، باحثا عن سبيل من سبل تغيير الواقع، فان عليه ان يفتش عن خليته الحقيقية وان يبدأ كما يجب ان تفعل وافعل...

المغـرب : السيدة خناته بنونـه

احـلام الشاهد السبعـة
مصطفى المسناوى ـ المغـرب

ـ الشاهـد الوحيـد :

لحظة خرجت الاسماك والحيتان ترعى في الحقول، وهربت الجبال والناس والشوارع والكواكب نحو مخابئ الاغارات : كنت انا مقعدا في مكاني المعهود، امام ساعة البرج التي التوى عقربها الصدئ الوحيد على نفسه.. ارتجفت سبابة يمناى وغضروفا اذنى، وكدت اهتف بهم ان يبحثوا عن رجلى وان يحملوني معهم، لولا ان اصمتني ادراكي المباغت بان ارتجافي ليس لخوف من الدمس المرتقب والميتة التي لم يحلم بها بشر، وانما لانني، وبدون رغبة مني او اختيار سأصبح الشاهد الوحيد.

ـ ليـنـــدا وود :

تعرفت على ليندا وود بواسطة المراسلة. بعثت الى "مصلحة الشباب الدولية" بثلاثة مقتطفات بريدية وبطلب التعرف على سويدية عشراء بعيون خضر من مواليد ١٩٥٤ ، امريكية عشراء بعيون زرق. خاب امل الجن الذى يسكنني رغم ورقة الاعتذار عن عدم وجود سويدية بالمقاس المطلوب وفكر في الاحتجاج. الا انني طمانته قائلا ان المرء لا يستطيع الفرار امام المكتوب . وتناولت قلما وورقة بيضاء وحبرت رسالة عادية : (عزيزتي ليندا، من داعي سروري الكبير وفرحي اللامتناهي ان اراسل شخصا من تلك البلاد العظيمة التي تقف الان على قمة العالم.. هوايتي : جمع الصور التذكارية والطوابع البريدية وحمالات المفاتيح واعقاب

Digitized by Birzeit University Library

يوميات عربية

الى فلاح لبناني مهاجر

مخلص خليل

١ – زوار

جاءوا فجأة ..
كان الفجر يظللنا ..
والزوجات يملن علينا في القبله
جاءوا من فوق ومن تحت ،
تداعى النوم
وصاح غراب الهجرة

٢ – نداء

صرخوا في البوق بنا
ان نصطف صوتين بلا قلب
جنب فصائل ماشية
والامر ينهي عنا الماء واسمال الماضي
صرخوا في البوق
وتدحرج بارود فوق الاكواخ

٣ – سؤال

هم ام انت ؟
احرق اغصان البرية
بالاوكسيدات وبالذل
سقى سفح قرانا
هم ام انت ..؟
انزلنا بالطرقة الهوجاء
عن سندان القرية

٤ – طبيعة صامته

في ظل التل
ظلت اشجار البلوط
قرب الحقل الاعزل
في ظل سفيفتنا
ظل المنجل جنب السكين
والمحراث توءرقه ذكرى للطين

٥ – في المؤخرة

ظل الحقل
لكن سنابله مرضت بالسم
ظل النبع
لكن الماء تفرق في كل مصب
ظل الباب
لكن جناحيه انغلقا
ظل الليل
لكن النوم غدا كالنصل

٦ – درك

قادوا الصوت الى البلعوم
قادوا الاه
لصيوت بكاء
قادوا النملة
في منحدر ابعد منه درب سليمان
قادوا الهضبة بالاسنان
حين تلاقوا معها في مفترق
وانتشروا فيها
يمحون الماضي
ويذوقون المر

٧ – اشتباك

قبل الظهر
اشتبك السهل مع الجدول
فاحترقت شجرة سدر
وتوارت بقرة
في اقصى الحقل
يتبعها رشاش القناص الاحول

٨ – ذكرى

والوقت شتاء
قالت امي
ان الله له اشجار
تنبت اين تشاء
وتموت بلا موعد
والوقت مساء
جاءوا بثياب الكاكي
وباسنان الحرية .
قطعوا اشجار الله

٩ – مهاجر

ضحكوا مني في الغربه
كنت اردد بين الكلمات
حرفا هادئ
كالطائرة السوداء
تنغوط فوق قرانا

١٠ – عودة متأخرة

ابناؤك عادوا يا امي
لشبابيك دون زجاج
للدار الكبرى
وجدوها ماثلة نحو الشرق
والانقاض تجاديها
ودعنا فيها
بارود الموت وشاحنة صفراء
يلمع معدنها في المطبخ .

Digitized by Birzeit University Library

الأممية الشيوعية وفلسطين

Digitized by Birzeit University Library

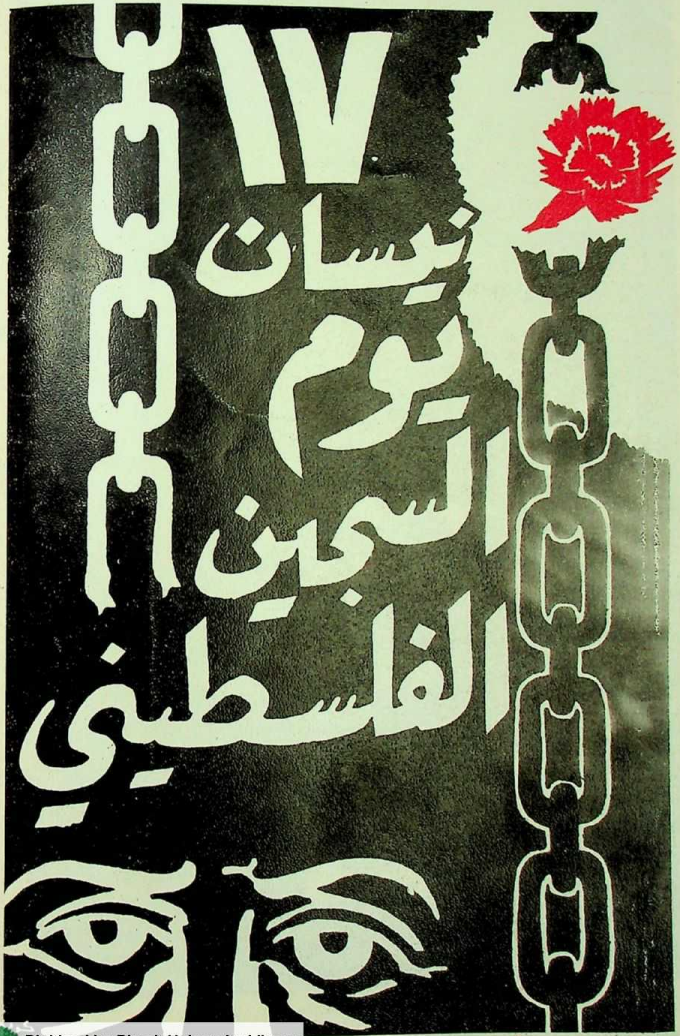

Digitized by Birzeit University Library